

# المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الرابع بعد المائة

٦ صفر سنة ١٣٦٣

١ فبراير سنة ١٩٤٤

## العلم والغذاء والمستقبل

الصحة العامة لا تتجزأ

العلم يضع أسس التحرر من العوز والجوع

شهد القرن الماضي وما انقضى من هذا القرن تحسناً عظيماً في الصحة العامة ، في كثير من أقطار العالم . وبعض هذا التحسن يرجع الى الأخذ بأساليب الوقاية الصحية ، والانتفاع بكشف أسباب الأمراض المعدية وباستنباط العقاقير الجديدة وبعضه يرجع الى التقدم الحثيث في علم التغذية . فمذ قرن أخذ قواعد الصحة العامة في انكثرة . وفي النصف الثاني من القرن الماضي خطا الطب أعظم خطوة إذ اهتمدى باستور الى اسباب الامراض المعدية . ومما تلا ذلك إقامة الدليل على ان العدوى قد تنتقل بالطعام والشراب كما في حالة التيفود والكوليرا وبالحشرات كالبعوض والبراغيث والقمل في حالات الملاريا والحمى الصفراء والطاعون والتيفوس ومع ان هذه الامراض ، دانت في كثير من البلاد لعلم العلماء والأطباء ، لا يزال الازدحام وسوء التغذية وسرعة الانتقال ، وهي مما يلزم الحروب ، تمهد لانتشار الأمراض المعدية . فوباء الانفلونزا في سنتي ١٩١٨ — ١٩١٩ تفشى تفشياً مروعاً فأصيب به نحو ٧٠٠ مليون من البشر ومات به ما يزيد على ٢١ مليوناً . والتيفوس منتشر الآن في غير بلد واحد . ومن المرجح ان تنتهي هذه الحرب ، ان يفرض تنقل الناس على سرعة في عالم تكاد طائفة من شعوبه تتصور جوعاً ، الى تفشي أعظم الأوبئة في التاريخ ، ان لم تتخذ التدابير اللازمة لحسمها على نطاق دولي



هذا الخطر العظيم ما فتى يشغل أعظم ثقات الطب وأقطاب الاجتماع ، وعلى وجه خاص ، من يرمي منهم بنظره الى الفترة التي تلي الحرب . فجرائم المرض جيش ، لا تصده الحدود الجغرافية ولا السياسية . فيجب أن يكون دفعه مهمة تضطلع بها الدول جميعاً ، وفقاً لخطة مرسومة . وقد أعرب الدكتور هيوسمـث — رئيس قسم الصحة الدولية في معهد ركفلر بانكثرة — عن هذا المعنى بقوله : « إن التقدم العظيم في أسباب النقل وفي انشاء طرق جديدة للسفر والمبادلة ، أخذ يحوّل العالم قاطبةً الى جماعة واحدة . ولما كان من المستحيل إقامة حاجز ما يمنع سرّيان أمراض معدية كثيرة ، الى بلد من البلاد ، وجب على كل أمة أن تصرف همها الى الاهتمام بالاحوال الصحية في جميع الأمم الأخرى » . فيصح إذن أن نقول أن الصحة العامة لا تتجزأ ، كما أن رجال السياسة والاقتصاد قالوا إن السلامة والرخاء لا يتجزأ أن

\*\*\*

على أن مدار البحث في هذا الفصل ، هو الغذاء ، لا المرض . وإذا أردنا أن نقوم علم الغد على أسس سليم فيجب أن يوفر الغذاء الكافي قدرأ ونوعاً لجميع الناس ، أي يجب أن يحقق « التحرر من العوز » وكذلك « التحرر من الخوف » — خوف الجوع والمرض . وقد ارتقت العلوم التي لها صلة بالتغذية ارتقاءً عظيماً خلال الحسنيين سنة الاخيرة على أثر الدليل الناصع الذي أقامه دارون ، وهو انه يجوز أن يطبّق على البشر ما يسفر عنه البحث التجريبي في الحيوان . ومعظم بحوث التغذية ، أجري أول الأمر في الحيوان ، ولا سيما الجرذان . وهذه البحوث وضّحت لرجال العلم أصناف الطعام التي يجب أن تتوافر في الغذاء الكامل ، علاوة على مقاديرها . وقد أثبت المر جون اور — الخبير البريطاني العظيم في مسائل التغذية — وغيره ان الغذاء الوافي أحد الأركان التي تقوم عليها الصحة السليمة ، وان هناك صلة وثيقة بين هبوط مستوى التغذية وهبوط مستوى الصحة العامة ، ثم بين هبوط مستوى التغذية ، وهبوط الكفايات العقلية بوجه عام . وقد عني باحث انكليزي يدعى نول Noll ، بالفحص عن مدى انتشار الأمراض في الأمة البريطانية ، فوجد أن أربعة أخماس الأمة ، تشكو ولا تدري ، علة ما فهي تترجح من فقر دم بسيط الى هوّ خبيث . وهذا بحدّ نفسه يشير اشارة هيّنة الى عظم المشكلة التي تواجهها الأمم بعد الحرب ، في تحسين الصحة ، عن طريق الوقاية والعلاج ، وعن طريق توفير الغذاء الصحيح كذلك . فالمشكلة ليست عامية طبية فحسب ولكنّها مشكلة اجتماعية أيضاً

ان بحث الغذاء الصحي لا يزال في مهده حتى في أرق الأمم . ويقول كتاب « العلم ونظام العالم » « ان هذه البلاد — يعني انكثرة — لم تكد تدرك أن الغذاء الصحيح هو احدى



مشكلات الصحة العامة لأن معظم ما نعرفه عن التغذية الصحيحة جديد «  
هذا العلم — علم التغذية — يشمل ناحيتين ، أما الأولى ، فموجب أن يأكله الناس وأما  
الثانية فما يأكلونه فعلاً . وقد تقدّم البحث العلمي ، في المواد الأساسية التي يحتاج إليها  
الجسم لمصيب الغذاء الصحيح الوافي ، تقدماً عظيماً خلال ربع القرن المنصرم ، وغدا الاتفاق  
عليها عامّاً بين العلماء . وبالرجوع إليها ندرك الآن أن الكثرة الغالبة من البشر كانت  
لا تصيب — حتى في أيام السلام — القدر الوافي من الطعام الصحي . وقد استخرج  
العلماء الأدلة على انتشار سوء التغذية انتشاراً يبعث على القلق بأساليب شتى ، منها الإحصاء  
الاقتصادي والصحي ، ومنها التجارب السريرية والمعملية

وكان رائداً البحوث الاقتصادية رجلين إنكليزيين يدعيان تشارلز بوث وسييوم  
روترى . وقد نشر لثنيهما ، من عهد قريب ، نتيجة بحثه المتواصل ، في مدينة يورك . وأساس  
هذا البحث ، ما ينفقه الناس من مختلف الطبقات على الطعام . ولكن مقياس المال ليس  
مقياساً صحيحاً إذا لم يقرّب بمعرفة مواد الطعام التي تُشتري وتستهلك . فغني  
المرجون أو بهذه الناحية ، في بحوث مستفيضة أيديها بحوث من قبلها في بلاد أخرى .  
نفصل إلى : أن طعام نصف السكان لا يكفي لإقامة الصحة لأنهم لا يستطيعون أن ينفقوا  
المال الكافي لشراء الطعام الصحي اللازم

وقد يظن أن قلة الأمراض التي توصف عادة بأنها أمراض نقص الغذاء ، كالبريري  
والاسقربوط ، دليل ناهض على أن رجالاً من أمثال المرجون أو أدنى إلى التشاؤم في تصوير  
حالة الغذاء الصحي في انكثرة ولكن رجال الطب والصحة العامة في بريطانيا أخذوا يلاحظون  
أن كثيراً من الضعف العام والاعياء الذين لا يصحبهما مرض معين ، يرجع إلى نقص المواد  
الغذائية اللازمة في الطعام منذ الطفولة . وقد كشف علماء الطب أساليب شتى تمكنهم من  
« تشخيص » هذه الحالات ، وكذلك تبدل التجارب في الولايات المتحدة وكندا وبريطانية  
أن في سكانها نقصاً كبيراً في التغذية الصحيحة

ويؤخذ من هذه الأبحاث أن نقص الحديد ونقص الكالسيوم منتشران ، وإلى الأول يعزى  
فقر الدم وإلى الثاني تشوه العظام والأسنان . وقد فحص في نيويورك مائة وثلاثة  
وأربعون بالغاً ينتمون إلى طبقة من السكان دخلها قليل ، فأُسفر الفحص عن أنهم جميعاً  
مصابون إصابات ظاهرة مرجعها إلى نقص فيتامين A في طعامهم . وقيود الحرب ، وما  
يصحبها من نقص الفواكه واللبن والبيض الطازجة ، من شأنها أن تقلل العناصر الغذائية  
الأساسية المتاحة للجماهير الناس



وبحث فريق آخر من العلماء بحث مقارنة ، بين طبقات الشعب ، وفقاً لدخلها . فوجدوا ان طلبة المدارس الذين ينتمون الى أسر ذوات ثراء او اكتفاء ، أطول قامة على المعدل ، وأكبر وزناً ، وأقوى من طلبة المدارس الذين ينتمون الى أسر لا يكاد دخلها يكفي لاقامة أودها . وقد ظهر كذلك ان انتشار السل بين العمال غير المتقنين ، يفوق ثلاثة أضعاف انتشاره بين الذين دخلهم أكبر من دخل هؤلاء العمال . وبلغ معدل وفيات الأطفال بين العمال أربعة أضعاف معدل وفياتهم في الاسر الموسرة . نعم ان الغذاء عامل واحد من عوامل متعددة تقضي مجتمعة الى هذه النتيجة ، ولكنه عامل لا يختلف فيه اثنان .

ونقول « لا يختلف فيه اثنان » لأن هذه النتيجة المستخرجة من الاحصاء القائم على مقارنة المعدلات والمتوسطات أيديها تجارب محكمة . فقد أختيرت طائفة من الأطفال الذين لا ينالون الغذاء الصحي الوافي ، ثم أتيح لهم هذا الغذاء ، فزاد وزنهم وقوتهم وتحسنت صحتهم . ثم أجريت تجارب في الجرذان ، لمعرفة الأثر الذي يتركه فيها الغذاء الغالب في شعوب شتى . فظهر ان الغذاء الغالب في غرب اوروبا يجب جرذاناً ضعيفة وان الغذاء الغالب عند قبائل « السبخ » يجعل الجرذان صحيحة قوية . وأجريت تجارب اخرى في وادي رونده فأعطيت النساء الحوامل غذاءً صحيحاً كاملاً فهبط معدل الوفيات بينهن الى ثلث ما كان عليه

ثم هناك طائفة أخرى من التجارب ، تطوَّع لها من تطوع ، لبحث نقص الفيتامينات وأثره في الصحة . فأعطى فريق من المتطوعين طعاماً يعوزه فيتامين C ، فما لبثوا ان أحسوا بالضعف والاعياء ، مدة طويلة قبل ان تظهر عليهم أعراض الاسقربوط . وأعطى غيرهم طعاماً يعوزه فيتامين B<sup>1</sup> ب ، فأحسوا بانقباض وإعياء ودوار وألم في الظهر . وقد وصف احد الأطباء هؤلاء الذين لا ينالون الكفاية من فيتامين ب ، بأنهم « كمن يحتاج الى عطلة يقضيها على شاطئ البحر ليستجم ويسترد عافيته » . ووضح ان نقص بعض انواع الفيتامين لا يحدث اعراضاً ظاهرة ما تدفع الى استشارة الطبيب وطلب العلاج ، ولكنها تكون كافية للشعور بالاعياء فهبط القدرة على العمل ، وتزيد القابلية للإصابة بمرض معد ، ويكفل النشاط البدني والعقلي

وقد يفوز بلدٌ ما بالقضاء على الجوع في مظهره الأوسع قضاءً تاماً ، وعلى وجوهه النقص البارزة في الطعام ، ولكنه يظلُّ مع ذلك في حاجة الى تدبُّر مسائل الغذاء الدقيقة الخفية . وقد قال الجنرال باران كبير جرّاحي الجيش الاميركي : « ان سوء التغذية كجبل الجمد عشره بادٍ وتسعة أعشاره خافية »

وليس ثمة ريب في أن ما تخسره الأمة ، من جراء سوء التغذية ، يبلغ مبلغاً عظيماً ،



إذا كان الانتاج والكسب أساس التقدير . ولكن ما لا يمكن قياسه بالمال هو ما ينشره من نكدٍ وانقباض وشعور بسوء الحال ، بين الذين ساءت تغذيتهم

\*\*\*

فاذا أراد القابضون على عنان المستقبل ، ان يحرّروا الناس من العوز ومن الخوف فليعلم ان يتدبّروا هذه الحقائق . فلا قيام للمجتمع الانسانيّ الاّ اذا توافرت له عناصر البيئة المادية ، التي تحسن فيها الصحة وينشط العقل وتستريح النفس ، والطعام الوافر الصحي في طليعتها

وقد يرتاب كثيرون في القدرة على إقامة هذا المجتمع الانسانيّ الاّ مثلاً . ولكن العلماء لا يرتابون ، إن كانت العقبة الوحيدة دون اقامته هي عقبة توفير العناصر المادية اللازمة لهذه البيئة . فهم يعلمون أن العلم قادر على توفيرها ، وأنّ ما تمّ من هذا القبيل حتى الآن لا يكاد يكون — على عظمتها — شيئاً مذكوراً بالقياس الى ما يمكن أن يتم

فقد خطا علماء الأحياء والزراعة خطوات فاسحاً في زيادة المحصولات التي تنتجها الارض بفضل الأساليب الجديدة التي ابتكرها العلم وزكّتها التجربة ، في فلاحة الأرض وبذر البذور ، وجني المحصول ، وتوليد أصناف جديدة ، وتربية الماشية ، ومكافحة الحشرات وما أشبه ذلك . وقد أصابوا نجاحاً في استنباط أساليب جديدة لحفظ الطعام بالتبريد السريع ، ولنقله في أقل حجمٍ بالتجفيف وزرع الماء منه . وقد يؤخذ محصول واحد من البرقوق مثلاً ، فيشحن قسم منه غصّاً الى بلادٍ نائية ، ويجمّد بعضه بالتبريد السريع ، ليستعمل حين الحاجة اليه فيكون كالغصّ تماماً ، ويجفف بعضه الآخر بنزع الماء منه ، فيشحن مسحوقاً توفيراً للمكان في سفن النقل ، ويحفظ بعضه في العلب

ومن عهد قريب قال وزير الزراعة الاميركي : ان كل طنٍّ من الماء يستخرج من اللبن الحليب واللحم والبيض والفواكه والخضر في منزلة طنٍّ من القنابل تلقى على أرض المحور . وكل طنٍّ من الماء يمتنع عن زراعته من هذه المواد الغذائية قد يعني جوعاً لفريق من رجالنا المسلحين أو أبناء حلفائنا . . . فالطعام الذي ننقله من بلد الى بلد يجب ان يحشد في أقل نطاقٍ وأضيّق مجال . وليس في السفن مكان لماءٍ ينقل بها بغير ضرورة في بحار الأرض السبعة والى هذه الحقائق الحربية مردُّ صناعة التجفيف التي اتقنت واتسع نطاقها خلال هذه الحرب . ولا بدّ أن يكون لها مقام لا ينكر بعد الحرب للنهوض بما تقتضيه أعمال الغوث والتعمير . فالحاجة الى الطعام في شتى أنحاء الارض ستكون عظيمة وملحة ، والحاجة الى السفن كذلك . والطعام المجفّف يوفّق بين الحاجتين ويتيح للشعوب التي استبدّت بها ضرورات



الحرب ومقادير وافرة من الطعام المغذي في أقل متسع من سفن النقل . فصناعة التجفيف من أمضى الأسلحة في تحرير الناس من الفاقة والجوع

ولكن العلماء لم يقنعوا بالوقوف عند هذا الحد ، بل عمدوا الى إكمال عمل التجفيف بفعل الضغط . فانك اذا أخذت عدداً من البيض وزن مائة رطل وجففته ، أصبت مسحوقاً يحتوي على جميع العناصر الأساسية في البيض وهو لا يزن أكثر من ٢٢ رطلاً . ومائة رطل من البيض تشغل أربع اقدام مكعبة ، ولكن ٢٢ رطلاً من المسحوق لا تشغل أكثر من قدم واحدة مكعبة . وفي هذا توفير عظيم . ولكن اذا أضفت الضغط الى التجفيف فانك تستطيع ان تحشد هذا القدر من المسحوق ، في مكعب لا يزيد طول ضلعه على نصف قدم . وقد عولج التفاح المجفف والبصل المجفف على هذا الغرار بنجاح

وكما كانت الحرب باعثاً على اتقان صناعة تجفيف الطعام وضغطه كذلك كانت باعثاً على التوسع في صنع الفيتامينات بالتركيب الكيميائي . ثم استعملت لتعزيز مواد الطعام السائرة لسد ما فيها من نقص غذائي . ويقول روي هندريكسون ، مدير ادارة توزيع الطعام بوزارة الزراعة الاميركية ، ان ٩٧ ٪ مما يصنع من المرحرين ، معزز بفيتامين A وقد سبق لنا ان وصفنا في المقنطف الخبز المعزز الذي صنع في بريطانيا والولايات المتحدة وهو يحتوي انواع الفيتامينات والمعادن التي يفقدها الدقيق حين إعداد القمح وطحنه

وقد حفزت الحرب العلماء الى البحث عن مواد غذائية « جديدة » . ولعني بالجديدة : الاغذية العريقة في التاريخ ، ولكنها أهملت الى أن كشف العلم الحديث قيمتها . فقول الصويا ، مثلاً ، حافل بالعناصر الغذائية ودقيقه مصدر رخيص للبروتينات ، فاذا كانت جارية اللحم قليلة ، اعتيض بروتيناته منها . ثم ان الحميرة التي كانت تنبذ ، في صناعة الجعة ، مصدر غني بالبروتين . وفي أنباء الولايات المتحدة ان طريقة جديدة قد ابتكرت لتحويلها الى مادة مغذية كاللحم ، ولها طعمه الطيب . وقد ثبت ان « الجوافا » أغنى مصدر معروف بفيتامين C

ويستطاع تجفيفها فاذا مسحوقها طيب النكهة ويصلح في صنع المرببات وغيرها فالآفاق التي يستشرفها العلم الحديث ، في توفير الطعام الصحي للناس ، لا تحدد . ولكن المشكلة لا تحل بالوقوف عند حد ما يستطيعه العلم ، بل تتعداه الى ما تستطيعه الحكومات ، من إحسان التوزيع ، ورفع مستوى العيش ، وما تستطيعه معاهد التربية والصحف ومحطات الاذاعة ، من نشر حقائق التغذية الصحيحة والحث على الأخذ بها . فالغذاء الصحي ، أحد اركان الصحة العامة ، والصحة العامة رأس مال ، تصغر في جنبه ملايين الملايين



# تحية لبنان المجاهد

خليل ثابت بك

زار مصر في الشهر الماضي وفد لبنان وعلى رأسه دولة رياض بك الصالح . أقبل عن أمة أبية ناضلت فظفرت . وقد نشط وادي النهل للوفد الكريم وأعظمه ومن المادب الفاخرة الحافلة التي أدبت تحية له مأدبة المصريين المنحدرين من أصل لبناني ، في الثالث عشر من يناير ( كانون الثاني ) . وفيها ألقى خطاباً وأنشدت قصائد . ويطيب للمقتطف أن تنشر الخطبة الفاتحة . وهي للاستاذ خليل ثابت بك رئيس تحرير المقطم ومن أعضاء مجلس الشيوخ بمصر ، لأنها تسجل يوماً خطيراً في تاريخ البلدان العربية الجارية الآن الى التآلف والتماسك ، ذلك إلى جنب أنها مشبعة الاداء ، بعيدة الغاية .

في الاثر المأثور يا سادتي ان لكل مقام مقال ، فأني مقال يصلح لهذا المقام وأني مقال يليق به

لقد والله تمنيت ان يكون خطيبكم الليلة ابو تمام الطائي او ابو الطيب المتنبي او السموأل ابن عدياء فيصنف هذا او ذاك ببلغ الشعر وجزل اللفظ وحسن الديباجة ما تجيش به الصدور من حمية وحماسة وما يخامر النفوس من غبطة وابتهاج وما يهز اوتار القلوب من أماني وآمال حقق الله آمال الشرق العربي وأمانيه

وقد وجدت مجال القول ذا سعة فان وجدت لساناً قاثلاً فقل

أما بعد فخير ما يستهل به المقال في هذا المقام ان نرفع باسم كل لبناني ولبنانية وكل سوري وسورية وكل منحدر من اصل لبناني أو اصل سوري أسمى آيات الاخلاص والولاء وأبلغ عبارات الحمد والثناء الى جلالة الجالس على عرش مصر الازلية الفاروق المعظم فقد طوق عتق لبنان بعطفه السامي وفضله الملكي وأسدى الى اللبنانيين في وطنهم ومهاجرهم أيدي ستبقى مذكورة مدى الدهر . وسيكون شعار لبنان في قلوب اللبنانيين بعد اليوم الارزة الخالدة يزينها الاسم الكريم اسم الفاروق العظيم الذي يهتف به الآن في كل مكان

لن ينسى لبنان يا مولاي وكيف ينسى وأنت القائل « واني مع لبنان الى النهاية » هذه العبارة التي نقش في صفحات الصدور وعلى ألواح الازهان يا ملك القلوب يا حبيب العروبة ويا نصير لبنان - أطال الله عمرك وأيد ملكك ووطد



عرشك وعظم مجدك — دعاء يصدر من صميم الافئدة ويصعد في طبقات السماء الى سدرة المنتهى

وتقدم أصدق قروض الشكر الجزيل ونعرب عن شعور الامتنان الكثير الى حكومة جلالة السنية برئاسة صاحب المقام الرفيع الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا فقد دافعت عن قضية لبنان اعظم دفاع وأثبتت للملأ ان الاتحاد العربي حقيقة واقعة سيكون لها في مصر والشرق كله شأن أما شأن

وماذا تقول للامة المصرية الكريمة هذه الامة العزيزة التي نتشرف بالانتساب اليها والتي أصبحنا جزءاً منها والتي نحن مستعدون اذا جد الجد لأن نبذل دمنا وأولادنا وأموالنا في خدمتها والدفاع عن كرامتها وسلامتها

ماذا تقول لها وقد جعلت قضية لبنان قضيةها فهبت كرجل واحد وغضبت غضبة «مصرية» ونادت بصوت واحد تطالب بالعدل والانصاف وتناصر دعاة الاستقلال — هذه الامة التي أحرزت زعامة العالم العربي فبايعتها شعوبه راضية مختارة — هذه الامة التي يحق لها ان تقول :

قومي استولوا على الدهر فتى ومشوا فوق رؤوس الحقب

ماذا تقول لها رداً على هذا العطف وهذا الحب وهذا الاخاء

حيالك الله يا مصر وبيالك وأنا لك أقصى أمانيك وخير أمانينا لك واذا عجز اللسان عن بيان فضلك والتعني بمكارمك فالقلوب تحقق بحبك والدعاء يرتفع بصوتك يا كنانة الله في أرضه لقد كان ما حدث في لبنان يأسادتي امتحاناً. كان امتحاناً دقيقاً عسيراً للديمقراطية والحرية وميثاق الاتلتيكي واتحاد العروبة وروح لبنان وأهله فجاز الجميع الامتحان والحمد لله وانطلقت الألسنة والانباء ترف هذه البشرية الى كل نصير للحرية ومحج للاستقلال وأنتم ايها السادة الكرام لقد جئتمونا بنفحة من طيب لبنان العزيز ذكّرت غير واحد منا بمعاهد الصبا ومغاني الشباب ولكنكم جئتم بما هو أعظم من هذا شأننا فقد تمثلنا فيكم وفي اخوانكم مظاهر نهضة لبنان هذه النهضة الوطنية الشريفة التي كانت موضوع نغمة الشرق واهتمام العرب والتي أبدت الحقيقة التاريخية الازلية وهي ان الله خلق الناس احراراً وعززت الحقيقة الاخرى وهي ان كل شعب يقبل الضيم لا يستحق ان يعيش

لقد عرفنا البنفسج يذبت في ربي لبنان تحت اطباق الثلج حتى اذا طاعت عليه شمس الربيع فاب الثلج وأزهر البنفسج يذشر طيب شذاه في الآفاق

ذاب الثلج عن لبنان وأشرقت عليه شمس الحرية والاستقلال وفاح في الجو أريج هذه النهضة كما عبق عير البنفسج من قبل الآن

لقد اعتسقتم ورؤعت بناتكم واطفالكم ودُهمت دوركم في جنح الظلام ونُقلتكم الى باستيل القرن العشرين ذلك الباستيل الذي سيرمز به بعد اليوم الى فشل بطش القوة وانتصار الحق والعدل على البغي والعدوان



هنيئاً لكم وهنيئاً للبنان بكم فلقد خططتم في تاريخ الشرق صفحة منيرة مزدانة بخير ما  
تزدان به صفحات الأمم. فعمل الخاص والعام ان في سويداء لبنان رجالاً وان في سويداء لبنان  
ساء. بارك الله في نساء لبنان أمهات الابطال وزوجات واخوات وبنات الشجعان فقد نافست  
نساءكم رجالكم في الذود عن كرامة شعبكم واستقلال لبنانكم  
حيا الله اولئك السيدات الكريمات فانهن لم يرهبن المدافع ولا بالين بالخطر. أنعم بهن  
وأنعم بكم

ولا أحاول هنا ان أفيض في وصف ما أثر رياض الصلح واخوانه الوزراء والنواب  
العاملين معه وسائر اركان النهضة الكريمة فان هذه الاستقبالات الرائعة والفتايات العالية  
والخفاوة العظيمة التي يلقاها الرئيس وزميلاه من جميع مصر ملكها وحكومتها وشعبها  
والموجهة اليهم والى حكومة لبنان وشعبه لا بلغ ما يمكن ان يقال في بيان فضله وفضلهم  
وتقدير جهاده وجهادهم

ستعودون الى وطنكم الاول وقد ازدتتم ثقة بالمستقبل بما شهدتم في وادي النيل السعيد  
من ارتياح الى نجاح قضيتكم وأمل عظيم بمصير شعبكم ودعوات صالحة باطراد نجاحكم  
وعهود صادقة بشد أزركم

فاحملوا معكم غير مأمورين خير تحية وتقدير للبناني الاول نخامة الشيخ بشاره الخوري  
فقد أحسن تمثيل روح النهضة اللبنانية وفعل في الازمة الحاضرة ما يطابق أمانى اللبنانيين  
في جميع أقطار الارض

لقد أخذتم انتم رجال الحكم في لبنان على عاتقكم عبئاً عظيماً واضه طلعتكم بتبعات خطيرة  
وقد يكون ما هوأت أشق مما مضى واكبر. وفي قديم الزمان قال المجربون « أرسل حكيماً ولا  
توصه » وأنتم الحكماء والحمد لله فلا تحتاجون الى من يوصيكم. غير ان هنالك رسالة أرى  
فرضاً علي ان أرسلها. ورسالتنا نحن الذين لم يتح لهم مشاركتكم في جهادكم بالفعل انتم  
حراس لبنان — هي اننا معكم مستعدون لتأييد كل ما يعزز قواعد استقلال لبنان ويرفع  
قدره ويعظم شأنه ويصون كرامته

ستلقى في طريقكم العثرات وتحلق لكم مشكلات وعقبات. وسيدلكم الى نزاع الاولى  
وتدليل الثانية بعد عون الله اتحادكم وعقد خناصركم وتعزيز صرح قوميتكم باقامته على أسس  
العدل والانصاف ونزاهة الحكم والمساواة بين الجميع قولاً وفعلًا وأن يعمد اللبنانيون جميعاً  
الى بناء كيانهم القومي لا على القاعدة الضيقة قاعدة الخلاف الديني والفروق المذهبية بل على  
القاعدة الكبيرة قاعدة مصلحة الوطن والاشترك في اللغة والتقاليد والعادات والاتجاه  
وحسن صلات المودة والاخاء بحري انكم اخوانكم الاعزاء

وفقكم الله الى ما فيه صلاحكم وخيركم وشمل لبنان وسائر أقطار الشرق العربي  
بعنايته ورعايته ، إن الله أكرم مسؤول

خليل ثابت



# الصناعات المصرية<sup>(١)</sup>

أثرها في الرخاء القومي في زمن السلم والحرب

للككتور حافظ عفيفي باشا

## مصر بلاد زراعية

هكذا كانت منذ القدم . وهكذا ستظل آخر الدهر ما دام يجري فيها النيل العظيم بلا انقطاع ويحمل الى أرضها الماء العذب والخصوبة . وما دامت شمسها الساطعة المشرقة تبعث الحياة والنمو في كل ما تنبت أرضها من مختلف الزروع  
ولو كانت الأرض المصرية المزروعة والتي تستصلح للزراعة تكفي غلتها معاً كل المصريين لما كان في هذا غناء عن التفكير في إيجاد مورد آخر غير الزراعة يعتمد عليه المصريون في حياتهم هذا الزمان . فبالنا والأرض المزروعة الآن — رغم جميع الجهود التي بذلت لزيادة الانتاج وتنويعه وتحسينه — لا تكفي مطالب كل سكان هذا البلد الذي انخفض فيه مستوى المعيشة الى الحد الذي نعرفه جميعاً ، وان ما يمكن استصلاحه من الأراضي غير المزروعة لا يتكافأ مع الزيادة المطردة في عدد السكان حتى اذا رضينا بهذا المستوى المنخفض وعدم التكافؤ بين نسبة مساحة الأرض المزروعة والتي يمكن استصلاحها ، وبين عدد السكان في الحال والمستقبل . يرسم لنا خطوط مشكلة اجتماعية معقدة تنذر بأخطار شديدة إذا لم يتدارك أولو الرأي في هذه البلاد مواجهتها من الآن بما يناسبها من علاج حاسم

\*\*\*

نحن نشكو ونضج بالشكوى من انخفاض مستوى المعيشة في مصر ونحن متفقون على ان أساس الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي أو الصحي أو الثقافي أو أي اصلاح آخر مرتبط أشد الارتباط بما نستطيع عمله لتحسين حالة الفقر التي يعانيها كثرة المصريين

لذلك وجب على جميع المفكرين أن يبحثوا بامعان في الوسائل العملية التي تؤدي الى علاج

(١) محاضرة القاها حضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا عن الصناعة المصرية في الثالث والعشرين من يناير ١٩٤٤ . بحالة ( المراد ) : في قاعة المحاضرات بالجمعية الزراعية الملكية بالجزيرة



مشكلة الفقر في مصر علاجاً ناجحاً حتى يمكن رفع مستوى معيشة كثرة أهل هذه البلاد الى الحد الذي نرجوه

ولا يكفي للوصول الى هذا الهدف أن تقرّر أية سلطة رفع الأجور أو المرتبات مثلاً، فذلك طريق هيّئ ولكنه لا يؤدي إلا الى علاج مهديء، فضلاً عما هناك من عوامل اقتصادية كثيرة تحد من سلطة الحكومات في هذا الشأن. وإلا تعرضت البلاد من وراء استمرار رفع الأجور بمثل هذه الوسائل الى أزمات اقتصادية تكون نتيجتها عكس ما نرجو فتزداد الحالة سوءاً وعسراً

إنما علاج مشكلة الفقر علاجاً ناجحاً هو في زيادة انتاج الأيدي العاملة وفي استثمار جميع ينابيع الثروة في البلاد استثماراً مبنياً على أساس من العلم والخبرة وليس لنا أن نطمع كثيراً في تحسين مستوى المعيشة في مصر اذا ظل اعتمادنا مقتصرأ على الانتاج الزراعي وحده. ذلك بأننا بعد جهود مضيئة كدنا نفنح من أرضنا أقصى ما يمكن انتاجه دون أن يترتب على هذه الجهود ارتفاع كبير في مستوى المعيشة وليس هذا بغريب، فالواقع ان البلاد التي تعيش من الزراعة وحدها بلاد فقيرة لذلك يجب علينا أن نركز الكثير من جهودنا في زيادة الانتاج الصناعي أيضاً. فصناعتنا لا تزال ناشئة. وهي لا تشغل إلا حيزاً صغيراً من ميدانها الفسيح. ولا يزال أمامنا في هذا الميدان نواح عديدة ومنايع غزيرة يجب استغلالها على أحدث الاساليب. كما يجب على حكوماتنا أن تشجع المفكرين والمبتكرين وأصحاب رؤوس الأموال على الاقدام للدخول في هذا الميدان بدلاً من استثمار أموالهم وحصر جهودهم في الزراعة وحدها. فتشجيع الحكومات أمر لا بد منه في أول النهضة الصناعية لأن الاستثمار الصناعي مخوف بأشد الاخطار ومعرض لكثير من المفاجآت التي تثبّط الهمم

واذا كانت الزراعة تدر أرباحاً محدودة وكانت مفاجآتها تنحصر في نقص غلة محصول من المحاصيل في سنة من السنين فإن رأس المال فيها مضمون الى حد كبير. على حين مفاجآت الصناعة أشد خطراً إذ قد يتضاءل فيها رأس المال نفسه بل قد يضيع كله أحياناً. وهذا هو رأس العلة في إحجام الممولين المصريين عن استثمار أموالهم في الصناعة — وهم الذين ألينوا عدم المجازفة والمغامرة وفضلوا الحصول على ربح ضئيل مضمون على آخر جزيل محتمل ولا يكفي لتبديل هذه الحال أن تقتصر الحكومة على النصيح والارشاد بل لا بد من اتخاذ جميع التدابير التشريعية والعملية لاقناع هؤلاء الممولين بأن أموالهم ومصالحهم في بعض الأمن من مفاجآت الصناعة. وألا تنتهز الحكومة كل فرصة ملائمة لرواج الصناعة



فتمثل كاهلها بضرائب قد تكون محتملة في وقت هذا الزواج ، ولكنها تضيع حتماً على رجال الصناعة أحسن المناسبات للاستفادة من هذا الانتعاش المؤقت لتوسيع مصانعهم وتحسين آلاتها واتقان منتجاتها ووضعها على أساس مالي متين حتى تستطيع الصناعة أن تقاوم ما قد يصادفها من أزمات وما يعترضها من مختلف المتاعب في المستقبل

هذا هو تشجيع الحكومة الحقيقي للصناعة

وهذا هو السبيل لإقناع المصريين لاستثمار أموالهم فيها

وبهذا فقط تتوافر الأموال اللازمة لها ويتسع النشاط الصناعي الذي تتطلبه حاجات البلاد أما أن تبحث الحكومة كل ما يفرض على الصناعة من ضرائب في جميع البلاد الصناعية العريقة وأن تسعى إلى فرض أمثالها على الصناعة المصرية الناشئة فهذا أمر يدعو إلى التفكير والامعان الشديد

فإن الصناعة في مصر لا تزال -- كما قدمت -- في دور الطفولة والتجربة ، وهي أشد الأدوار الصناعية خطراً وأكثرها كلفة . وليس في استطاعتها أن تحتل أرهاق أمثال الضرائب التي تفرض الآن في بلاد محاربة تنفق يومياً على الحرب عشرات الملايين من الجنيهات

\*\*\*

وإني حينما أدعو إلى تشجيع الصناعة في مصر وإلى تحويل جزء كبير من أموال البلاد ومن جهودات شبابها المثقف إلى الناحية الصناعية فلست أدعو إلى التعلق بالخيال أو التشبث بالمحال . فقد أثبتت الظروف أن نجاح الصناعة في مصر ممكن ، ميسور . وأن جميع أسباب نجاحها متوفرة . فالمادة الأولية موجودة عندنا . والوقود الطبيعي متوفر . وتوليد الحرارة بالطرق الصناعية مستطاع . وأهم من ذلك أن المصري صانع ذكي ماهر . وكانت بلاده مهداً لصناعات يدوية كثيرة . واشتهر أجداده قديماً بالمهارة والابتكار وحسن الذوق

وإن نظرة سطحية إلى متاحف الآثار الفرعونية أو الإسلامية في جميع أنحاء العالم وإلى متاحفها من بدائع الصناعات اليدوية الدقيقة التي أخرجتها عقول مصرية وصاغتها أيدي مصرية لتكفي للدلالة على تقدم الصناعة المصرية في عهدها القديم

واعتقادي أن هذه الأجيال الطويلة التي مانت فيها الصناعة أو كادت لم تضعف من مهارة الأيدي المصرية . فلا يزال العامل المصري مستعداً لاتقان أية صناعة غريبة عنه إذا أحسن تعليمه وإرشاده . وجميع الذين يتولون الإشراف على المصانع المصرية الآن يعملون هذه الحقيقة ويعجبون بعلمهم المصريين وبسهولة إدراكهم لأسرار أكثر الآلات الصناعية دقة وتعقيداً



أذكر لكم بهذه المناسبة أنه لما صدقت النية على إنشاء مصانع الغزل والنسيج في كفر الدوار اختير لهذه المصانع أحدث الآلات المستعملة في هذه الصناعة وهي آلات اوتوماتيكية أي تتحرك بنفسها وإنما تحتاج إلى إشراف عدد قليل من العمال المهرة . فرأى تجار هذه الآلات أن من واجبهم قبل اتمام الصفقة أن يوجهوا نظرنا إلى ما سنلاقيه من المتاعب بسبب دقة هذه الآلات وإلى ضرورة اختيار عمال مهرة يقرنوا مدة طويلة على إدارتها وإلا تعطلت عن العمل واحتاجت لاصلاحها إلى الاستعانة بصنّاع من الأجانب . وفي هذا ما فيه من إضاعة للوقت والمال . فلم يأبه مؤسسو مصانع كفر الدوار لهذه النصيحة وصمموا على شراء أحدث ما أخرجته صناعة آلات الغزل والنسيج

وقد أقيمت هذه المصانع من سنين كما تعلمون . ويدير آلاتها الآن مهندسون مصريون وعمال مصريون ويسدهش من يزور هذه المصانع الآن اذ يرى صبيّاً صغيراً لا يتجاوز السادسة عشرة ، امام أدق آلاتها صنّاعاً وهو يحكم ما ينط به من عمل ويفهم معنى كل صوت تحدثه الآلة التي يشرف عليها ومغزى كل حركة من حركاتها

وكما أن أرض مصر تذبّت الكثير ، وتحوي تربتها السكنوز من المواد الأولية ، التي تصلح لصناعات كثيرة فكذلك لا تنقص مصر رءوس الأموال إذا اتجه أصحاب الثروات فيها إلى ناحية الصناعة وفكروا في استثمار جزء من أموالهم فيها بدل استثمارها كلها في الزراعة وفي شراء الأراضي بأثمان لا تناسب غلتها

على أننا — مع هذا — يجب ألا نضع العراقيل أمام رءوس الأموال الأجنبية التي يريد أصحابها استغلالها في الصناعة المصرية ما دامت تخضع لقوانين البلاد فان الصناعة تحتاج إلى رءوس أموال ضخمة . كما أن استخدام مثل هذه الأموال في الصناعة لا يخلو من مجازفة لا يقدم عليها المصري بسهولة . فإذا صممنا على قصر رءوس الأموال الصناعية على الأموال المصرية وحدها فان التقدم الصناعي في مصر قد يتأخر زمناً طويلاً وليس هذا في مصلحة أحد

والواقع أن الصناعة في كل مكان لا تعرف جنسية الأموال المستثمرة فيها فالأموال الأميركية تستعمل في الصناعات الانجليزية . والعكس بالعكس . والأموال الانجليزية والأميركية تستعمل إلى حد كبير في الصناعة الإيطالية والالمانية وقد احتاجت اليابان وإيطاليا بصفة خاصة لا مكان ترقية صناعاتهما في هذا الزمن الوجيز إلى رءوس أموال كبيرة جاءت من البلاد الأجنبية وإذاً فجميع أسباب نجاح الصناعة في مصر متوفرة كما قدمت وبخاصة إذا بدأنا حياتنا



الصناعية بالحذر وبنينا أساسها على أحدث الأساليب العلمية والاقتصادية ولم نقصر في البحث والاستقصاء قبل الاقدام على انشاء صناعة من الصناعات حتى نكون مجهزين بكامل العدد والوسائل

\*\*\*

وبعد، فهل نحن في حاجة الى دليل لامكان قيام صناعات اهلية متعددة في مصر، ولا يمكن استغلال جزء كبير من ثروتنا الاهلية ومن ثروتنا الفكرية في الميدان الصناعي بعد ان رأينا بأعيننا نجاح صناعات كثيرة تؤدي الآن للبلاد أكبر الخدمات

اني لا استطيع في الزمن الوجيز المحدد لي أن أجمل لحضراتكم اعمال الشركات الصناعية القائمة الآن أو مدى تقدمها وتعدد نواحي نشاطها ودرجة النجاح الكبير الذي أصابته في انتاجها من تحسين واتقان . فنظرة سريعة الى هذه المعروضات التي جمعت ونسقت في هذا المكان توضح لكم مدى التقدم الذي بلغته الصناعة المصرية في سنوات قلائل — هذا مع ان هذه المعروضات تمثل في الواقع جزءاً صغيراً من منتجاتنا الصناعية

وانكم لتعلمون مع هذا ان الصناعة في مصر مولود حديث فنحن قد بدأنا نفكر في الصناعة منذ الحرب العالمية الماضية حينما أحسننا بكثير من النقص في حاجتنا وبارتفاع أثمان ما كنا نجده منها ارتفاعاً كبيراً استحال معه على طبقات كثيرة من الأمة أن تحصل على مطالبها الضرورية

ولقد يذكر بعضكم انه لم يكن من السهل في فترة تلك الحرب الحصول على ثوب «البفنة» إلاّ بثمن باهظ بلغ وقتئذ نحو خمسة جنيهات وارتفع أحياناً الى ثمانية

هذا مع العلم بأن طرق المواصلات البحرية في الحرب الماضية لم تكن مقفلة باحكام كما هي في هذه الحرب القائمة ، اذ كان طريق البحر المتوسط مفتوحاً في الحرب الماضية الى نهايتها على ان نشاطنا الصناعي الحقيقي لم يبدأ إلاّ بعد سنة ١٩٣٠ حينما تقررت التعريفات الجمركية الحالية التي روعي في وضعها وجوب حماية الصناعة في مصر وتخفيف أثر مزاحمة الصناعة الاجنبية لها

وقد انتهر هذه الفرصة السانحة فقيد البلاد المغفور له محمد طلعت حرب باشا فنهض واستنهض الهمم داعياً المصريين الى الاهتمام بالصناعة فنجحت دعوته . ولم يكتف بهذا بل عرض على بلاده مشروعات صناعية متعددة تمت دراستها بعناية، وأشرف على تنفيذها وهي تقدم الآن للبلاد ، كما تعرفون ، أكبر الخدمات

فيما الصناعة المصرية في الواقع دون العشرين سنة . وبالرغم من حداثة عهدها فانها



قد تعرضت في هذه الفترة القصيرة ونمت نموًّا كبيراً — في نطاق نشاطها — فاق ما كان يتوقعه أكثر المصريين تفاؤلاً واقتناعاً

فقد تأسس في هذه الفترة شركات مصرية كثيرة برءوس أموال كبيرة يتناول نشاطها الصناعي آفاقاً متعددة . وتنتج من المصنوعات أنواعاً وألواناً شتى

ويكفي لمعرفة قيمة الصناعة المصرية الآن — على أنها عامل — في الثروة الأهلية أن نذكر أن نصيب الصناعة المصرية في هذه الثروة لا يقل عن نصيب الزراعة بل قد يزيد عليه

فالبلاد تفتج الآن من المنتجات الصناعية ما يزيد ثمنه على ثمن محصول القطن المصري .

كما يربو عدد العمال المصريين الذين يشتغلون في الصناعة ويرتقون منها على مئات الآلاف

يتناولون مرتبات سنوية تقدر بمضعة ملايين من الجنيهات . ويتناول العامل في المتوسط أجراً

لا يقل عن ضعف ما يتناوله العامل الزراعي ، وقد يصل أحياناً إلى خمسة أمثاله . كما فتحت

آلاف الشبان المتعلمين أبواب رزق واسعة كانوا لا يجدون مثلها من عشر سنوات إلا

بالتوظيف في الحكومة

ولست أستطيع الآن أن أذكر لكم احصاءً وافيًا عن رؤوس الأموال المستثمرة في

جميع الصناعات بمصر أو عدد الموظفين والعمال من المصريين الذين يعملون في الصناعة

ويرتقون منها ، ولكني أستطيع أن أذكر لكم بدقة بعض الأرقام عن بعض شركات مصر

رأس المال وعدد الموظفين والعمال ومرتباتهم السنوية والقطن المستهلك  
وكميات الانتاج في شركات النسيج

الشركة	رأس المال	عدد الموظفين	المرتبات السنوية	عدد العمال	الاجور السنوية	كميات الانتاج
	جنيته		جنيته		جنيته	
الحلة	١٠٠٠٠٠٠ ر. ١ *	٥٠٠	١٨٠٠٠٠	٢٥٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠٠٠ ر. ياردة أقشة ١٨٠٠٠ طن غزل
كفر الدوار	٥٠٠٠٠٠	٣٥٠	٦٠٠٠٠	٥٠٠٠	١٩٠٠٠٠	٣١٠٠٠٠٠ ر. ياردة أقشة ٤٠٠٠ طن غزل
الحرير	١٢٥٠٠٠٠	١٥٥	٣٢٠٠٠	١٨٠٠	٨٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠ ر. ياردة أقشة
المجموع	٢٦٢٥٠٠٠ ر.	١٠٠٥	٢٧٢٠٠٠	٣١٨٠٠	١٢٧٠٠٠٠	١٠٤٥٠٠٠٠ ر. ياردة ٢٢٠٠٠ طن

\* استهلك جزء من هذه السندات



وبذلك يبلغ رأس مال هذه الشركات الثلاث ( بما في ذلك ) {  
قيمة السندات المصدرة )  
٢٦٢٥٠٠٠ ر جنيه

٣٢٨٠٥ أشخاص

١٨٢٧٠٠٠ ر جنيه

١٠٤٥٠٠٠ ر ياردة

٢٢٠٠٠ طن

٦٠٠٠٠٠ قنطار

ويبلغ عدد الموظفين والعمال

وتبلغ مرتباتهم وأجورهم السنوية

وتنتج من الأقمشة ما طوله

ومن خيوط الغزل ما وزنه

وتستهلك من القطن ما وزنه نحو

هذا ما تؤديه الصناعة المصرية في زمن السلم من خدمات لأهل هذه البلاد وهو ظاهر لا يحتاج الى شرح طويل . فلقد رأينا انها فتحت أبواباً جديدة يرتزق منها جيش من الموظفين والعمال وهي تقدم للمستهلكين من المصريين بضاعة مصنوعة يقدر ثمنها بما يقرب من ثلاثين مليون جنيه سنوياً ، كانت تأتي لهم من البلاد الأجنبية وبذلك يتسرب كل ثمنها الى الخارج

أما الآن ، وبعد أن قامت الصناعة المصرية في مصر ، فإن ما يتسرب من هذه الأموال لا يزيد على ربع هذا المبلغ الضخم أو خمسة . وهو ثمن الآلات والمواد الأولية التي لا توجد في البلاد في الوقت الحاضر . وبذلك قد ساعدت الصناعة مساعدة كبيرة على تحسين الميزان التجاري في مصر بعد أن كان مائلاً لمصلحة أكثر البلاد الأجنبية قبل نهضة الصناعة الأهلية ولتحسين الميزان التجاري أكبر الأثر في مركز البلاد المالي وفي اقتصادها القومي

ويضاف الى هذا أن قيام الصناعة في مصر كان له أكبر الأثر في زيادة موارد خزانة الدولة ومع أنه في غير الميسور معرفة قيمة الضرائب الصناعية البحتة بدقة فإنه يمكن القول ، بناءً على الإحصاءات الرسمية ، أن جملة الضرائب المختلفة على التجارة والصناعة التي حصلت الخزانة في السنة المالية المنتهية في ٣٠ ابريل ١٩٤٣ قد زادت على ١١ مليون جنيه وستزيد حصيلتها حتماً على ١٥ مليون جنيه في السنة المالية الجارية

هذا بخلاف المقدّر لرسم الانتاج وهو نحو ٨ مليون جنيه . وهو ضريبة على الصناعة وحدها

وعلى هذا فايراد الخزانة العامة من الضرائب المباشرة التي تحصل عليها من الصناعة والتجارة يربو على ٢٣ مليون جنيه دون احتساب ما يخصهما من الرسوم الجمركية . في حين أن نصيب الخزانة العامة من الضرائب العقارية على الأتليان والأمالك يقل عن الستة ملايين من الجنيهات



أما ما تؤديه الصناعة المصرية للبلاد من خدمات في زمن الحرب فهو أكبر أثرًا  
وأكثر وضوحًا

وكما قلت لحضراتكم في أول هذه الكلمة ان الأمم الزراعية أمم فقيرة وستبقى فقيرة  
ما اكتسفت بالزراعة وحدها . كذلك أقول لكم أن الأمم الزراعية أمم ضعيفة أمام الاعتداء  
الخارجي . وستبقى معرضة لكل غزو ما بقيت زراعية حسب

وإذا كانت اليابان ، وسكانها لا يزيدون كثيرًا على الخمسين مليونًا ، قد غزت الصين التي  
يبلغ عدد سكانها عشرة أضعاف سكان اليابان ، فما هذا إلا لأن اليابان اكتسفت الى ما قبل نحو  
خمسين سنة مضت بالزراعة وحدها . ثم عملت حكوماتها في هذه الفترة القصيرة على إنشاء  
صناعات أهلية زاهرة . وأما الصين فقد رضيت بالزراعة مكنتية بها للآن ولم تأبه للصناعة .  
وأمامنا الآن ما تعمله روسيا في هذه الحرب وما وصل اليه جيشها من القوة والاستعداد  
وما كان عليه هذا الجيش في الحرب الماضية

واعتقادي أن ما زاه من تفوق روسيا الحربي الآن ما هو إلا نتيجة طبيعية لمجهود تلك  
البلاد في الناحية الصناعية — ذلك المجهود الجبار الذي بدأ في الخمس عشرة سنة الاخيرة  
والذي بدت آثاره الآن ظاهرة للعيان . وليس من الممكن الآن او قبل الآن أن يعتمد بلد من  
البلاد في محاربة أي عدو له على استيراد أدواته الحربية من الخارج

فاذا كانت هذه النظرية صحيحة في الماضي فهي أصح في الحرب الحديثة التي تحولت فيها  
كل المعدات الحربية الى آلات ميكانيكية دقيقة وزاد استهلاك هذه الآلات الى حد كبير بعد  
استعمال الطائرات كآلات حربية أيضًا

ولأجل أن تثمينوا صدق ما أقول تصوروا أن مصر المستقلة دخلت في حرب مع أية  
دولة أوروبية — فاذا يمكنها أن تفعل ؟ ؟

يمكنها أن تشتري من المدافع والطائرات والقنابل ومن كل أدوات الحرب أكبر مقدار  
يمكن لتخزينه في وقت السلم . فهل هي تستطيع مهما ضجت بأموال أهلها أن تحزن من هذه  
المعدات ما يكفي لحاجات حرب قد تدوم سنة أو سنتين أو ثلاثًا ؟ ؟ مع العلم بأن الطرق  
البحرية مستقفل في وجهها بمجرد اعلان هذه الحرب ، ومع العلم أيضًا بأنه قد ثبت لنا بما رأيناه  
بأعيننا الآن أن آلات الحرب تقبّل وتغير وتتحسن بين وقت وآخر وفي أثناء الحرب  
نفسها تبعًا للتجارب التي تحصل عليها إبان المعارك

وقد رأينا في هذه الحرب ان الطائرات والمدافع والدبابات التي استعملت سنة ١٩٤٠  
قد صارت الآن غير صالحة إلا للعرض في المتاحف الحربية على أنها نموذج تاريخي قديم



أما ما كان يصنع منها بين سنة ١٩٣٥ وسنة ١٩٣٩ فقد أصبحت كلعب الأطفال اذا قورنت بما يصنع منها في سنة ١٩٤٤

أظنكم توافقون على انه ليس معقولاً ان تعتمد أمة في زمن الحرب على استيراد أدواتها الحربية من الخارج بل لا بد لها من الاعتماد على صناعاتها الأهلية لامكان حصولها على أكثر ما يلزمها من أدوات الحرب

أريد أن أتقل بكم بعد ذلك الى نقطة جوهرية أساسية، وهي أنه ليس من الميسور في بلد من البلاد تأسيس صناعة حربية مخصص فقط لانتاج أدوات الحرب بعينها إذا كانت جميع الصناعات الأخرى معدومة أو محدودة في هذا البلد — فإن الصناعات الحربية البهينة تعتمد على صناعات حديدية أخرى لامكان الحصول على المواد اللازمة لها . فصناعة المدفع أو البندقية تستمد موادها الأولية من مصانع الحديد والصلب . فلا يمكن إقامة هذه الصناعة بالاعتماد على الحصول على الصلب اللازم لها من الخارج والّا إذا امتنع ورود هذا الصنف تتوقف هذه الصناعة على الآخر

كما أن صناعات حربية كثيرة أخرى كصناعة القذائف والقنابل تعتمد مادتها الأولية على الصناعات المعدنية والكيمياوية فهي محتاجة الى منتجات معدنية وكيمياوية كثيرة تقوم بها مصانع مختلفة . وهنا أيضاً لا يمكن الاعتماد على ورود هذه المواد من الخارج بل لا بد أن تصنع في الداخل لأغراض السلم ولتجد الصناعة ما يلزمها منها في كل وقت وكما تحتاج صناعة الطائرات الى صناعة الحديد والصلب فهي تحتاج أيضاً الى صناعات النسيج والخشب واللفائف المعدنية والى صناعات كثيرة أخرى

وأستطيع أن أذكر لكم الكثير من الصناعات التي يستعمل انتاجها في زمن السلم وهي في الوقت نفسه لازمة كل اللزوم لاقامة صناعة حربية بجثة في البلاد

لذلك تعتبر بحق صناعات النسيج . وصناعات أدوات البناء . والصناعات الكيمياوية . وبخاصة صناعة الأسمدة . والصناعات الحديدية والمعدنية . وصناعة تحضير وحفظ المواد الغذائية . وصناعات كثيرة أخرى ، صناعات حربية لا غنى عنها

ولهذه الأسباب أيضاً لا تجدون في البلاد الصناعية مصانع تقوم على صناعة أدوات الحرب وحدها

فمصانع ( كروب ) مثلاً لا تشغل بإعداد المدافع والآلات الحربية وحدها، بل هي مصانع صلب وحديد أيضاً تنتج من المصنوعات اللازمة للسلم ما يعد بمئات الانواع . وتقوم بجانب هذا في زمن السلم بصناعة الآلات الحربية بمقادير محدودة . فاذا ما أعلنت الحرب تحولت هذه



المصانع في ساعات أو أيام الى مصانع لانتاج أدوات حربية متعددة . وإلا لو اشتغلت في زمن السلم بأدوات الحرب وحدها — وحاجات البلاد الى هذه الأدوات في زمن السلم محدودة — لتضائل العمل في هذه المصانع ولاستغنت عن الكثير من عمالها ومهندسيها وأصبحت عبئاً ثقيلاً على أصحابها وعلى الدولة نفسها

ولقد سمعتم أن جميع مصانع السيارات ومصانع الحديد ومصانع الكيماويات قد تحولت في زمن قصير في ألمانيا وفي انكلترة وأمريكا — عند اعلان هذه الحرب القائمة — الى مصانع حربية لا تشتغل بغير الانتاج الحربي

وقد يدهشكم أن أذكر لكم أن الصناعة المصرية — وهي حديثة النشأة كما تعلمون — تقدم لقوات حلفائنا في مصر كثيراً من أدوات ومصنوعات مختلفة ومنها مصنوعات حربية بجهة يقدر ثمنها بملايين الجنيهات ويقدر وزنها بمئات الآلاف من الأطنان . ومعنى هذا أنه لو لم تكن بمصر صناعة أهلية لاحتاجت حليفنا الى مئات من البواخر لجلب المصنوعات التي تنتجها الصناعة المصرية الآن

على أنه يجب ألا ننسى أن توفير حاجات سكان البلاد من جميع المصنوعات في وقت الحرب أمر ضروري لضمان استمرار مقاومة هذه البلاد . فان مقاومة أي بلد من البلاد تطول أو تقصر وتقوى أو تضعف تبعاً لامكان حصول أو عدم حصول أهل البلاد على حاجاتهم الضرورية

ولهذا أعتقد اعتقاداً راسخاً أنه لا بد لنا — كما قدمت — من أن نركز الكثير من جهودنا لزيادة الانتاج الصناعي وترقيته وانتشاره اذا أردنا أن نستكمل معدات الدفاع عن بلادنا . وعند ذلك فقط يمكننا أن ننشئ صناعات حربية بجهة تقوم وقت الحرب بسد حاجات الدفاع عن البلاد . كما أعتقد اعتقاداً راسخاً أيضاً أنه لا أمل لنا باقامة هذه الصناعات الحربية إلا اذا ساعدنا على تثبيت أقدام جميع صناعات السلم القائمة الآن والسعي بعد ذلك بجهد وبسرعة لاتمام الحلقة الناقصة في سلسلة الصناعات المصرية الضرورية للسلم وللحرب في آن واحد

\*\*\*

واستكمالاً لهذه الحلقة أرى أن نعين كل العناية بتشجيع انشاء صناعات حيوية جديدة . وبين أيدينا الآن فرصة سانحة تساعدنا على ذلك — هي فرصة كثرة الاموال المتداولة في السوق المصرية . ومن المناسب انهاز هذه الفرصة لتشجيع أصحاب الاموال من المصريين على التفكير في المشروعات الصناعية التي يجب أن تقوم بها البلاد في المستقبل



سواء لما بدا من ضرورتها في هذه الحرب أو لوجود مادتها الأولية في مصر أو في البلاد القريبة منها

ويجب أولاً وقبل كل شيء اتخاذ العدة من الآن لانتهاز أول فرصة ممكنة لتنفيذ مشروع صناعي هام يترتب عليه انقلاب عظيم في حياة البلاد الاقتصادية وهو مشروع كربة خزان أسوان . فلقد شغل هذا المشروع تفكير الحكومات وجميع الرجال المسؤولين في هذه البلاد منذ ثلاثين سنة . ودرست مشروعات عديدة لتنفيذه كما استخدم الكثيرون من الخبراء العالميين لدرس هذه المشروعات المختلفة وايداء رأيهم فيها . ومع ذلك لم نبدأ في تنفيذه للآن . مع انه يتوقف على تنفيذ هذا المشروع الحيوي الخطير إحياء صناعات لا غنى للبلاد عنها بل هو يخلق من أفقر مديريات القطر — وهي أسوان — منطقة صناعية مزدهرة . كما يمكنه ان يخلق من مناطق أخرى مرا كز صناعية هامة بعد نقل التيار الكهربائي اليها ولعل أهم الصناعات التي يمكن إنشاؤها ، اذا تم تنفيذ هذا المشروع ، صناعة الحديد والاسماد . فالحديد الخام متوفر في أسوان . وهو من نوع جيد بشهادة الكثيرين من الاختصاصيين الأجانب . وهو — كما لا يخفى — المادة الأولية لكثير من الصناعات المعدنية والميكانيكية . أما الأسمدة الآزوتية فضرورتها واضحة لبلاد زراعية ك مصر . وقد أثبتت الحرب الحالية هذه الحقيقة بشكل لا يحتاج الى بيان . إذ لو كانت هذه الصناعة موجودة الآن داخل البلاد وأنتجت من الأسمدة الآزوتية حاجة زراعتها دون أن تضطر الى الالتجاء للخارج لاستيراد كميات غير كافية منها وبأثمان باهظة لزادت غلة أرضنا من الحبوب ومن القطن زيادة كبيرة

على انه يشتق أيضاً من صناعة الأسمدة صناعات أخرى عديدة لانتاج كثير من المواد الحربية الضرورية كصناعة المفرقات مثلاً

\*\*\*

وهناك صناعات كثيرة ينتظر لها النجاح في مصر نذكر منها : —

#### ١ — صناعة السيليلوز Cellulose

ومشتقاته كالحرير الصناعي الذي تقدمت صناعته الآن بشكل واضح والذي تصنع أحسن أنواعه الآن من بقايا القطن ، وصناعة الحرير والسيليلوز هي في الواقع سلسلة صناعات كباوية يتحول أكثرها في زمن الحرب الى صناعات حربية



## ٢ — صناعة استخراج المعادن

كذلك من واجبتنا ان نهتم بصناعة استخراج المعادن الكثيرة المدفونة في اقليم البحر الاحمر . فانه يوجد في باطن هذا الاقليم أنواع متعددة من المعادن القيمة اللازمة للسلم والحرب وقد ثبت — فضلاً عن وجود البترول بكميات وافرة — وجود المعادن الآتية بكميات تجارية . واكثرها قابل للاستغلال وهي : — الفوسفات — المنجنيز — الولفرام Wolfram النيكل — القصدير — الكبريت — الرصاص — الزنك — حجر الطلق Talc — الكالين — الكروم وزى في هذا الصدد أنه من واجب الحكومة أن تيسر في إنشاء الطرق المعبدة التي تصل وادي النيل بشاطئ البحر الاحمر وأن تسعى لايجاد مياه الشرب اللازمة هناك . فهذا الاصلاح يساعد كثيراً على استخراج هذه الثروة المدفونة ويشجع أصحاب رؤوس الاموال على التفكير في مثل المشروعات

## ٣ — صناعة حفظ الفواكه والخضروات

كذلك يجب أن نفكر في نشر صناعات حفظ الفواكه والخضروات التي تعتبر صناعة أساسية في جميع البلاد الزراعية  
اننا ننتج كميات كبيرة من الخضروات. ونستطيع مضاعفة هذا الانتاج لو ضمنا له سوقاً خارجية . ونظراً لصعوبة ايصالها الى اوربا طازجة لعدم وجود بواخر التبريد اللازمة لهذا الغرض، فانتظاراً لهذا الوقت — الذي نرجو أن يكون قريباً والذي نستطيع فيه شركة مصرية أن تنشئ بواخر التبريد اللازمة لنقل الفواكه والخضروات والزهور الى اوربا — يحسن أن نفكر من الآن في البدء بصناعة حفظ هذه المنتجات اما بتجفيفها ، واما بحفظها ، كما هي واما بعصرها كما يحصل في صناعة الطماطم . وكل هذه صناعات تقدمت تقدماً كبيراً في زمن الحرب . فقد راجت صناعة التجفيف رواجاً عظيماً وصار تجفيف البصل مثلاً صناعة رابحة كما صار في الامكان حفظ جميع الخضروات البقلية والطماطم والجزر وخضروات كثيرة أخرى بطريقة لا تفقدها أية ميزة من ميزاتها الغذائية بل لا تفقدها أحياناً لونها الطبيعي وقد قامت اخيراً صناعات كثيرة من هذا النوع في مصر وراجت رواجاً كبيراً ونرجو أن يزداد نشاطها في المستقبل ، وأن تستكمل جميع أسباب التحسن والتقدم . هذا ولا يزال في هذا المجال متسع لجماعات مالية جديدة تتأسس للقيام بهذه الصناعة على نطاق واسع



## ٤ — صناعة المطاط

وأخيراً يمكن أن تؤسس بنجاح صناعة ضرورية لا توجد مادتها الأساسية في مصر الآن . ولكن هذه المادة تمر من طريق مصر الى اوروبا لتصنع فيها . وأقصد بذلك صناعة المطاط ( الكاوتشوك ) . فقد أثبتت هذه الحرب ضرورة هذه الصناعة أيضاً . وهي صناعة أوروبية وأميركية . ولكن مادتها الأولية تأتيها من الملايا والهند الصينية . ولا مانع من نجاح هذه الصناعة في بلادنا لتأمين مصر والبلاد الشرقية القريبة . وقد اطلعت قبل الحرب على تقرير في ظهر لي منه إمكان نجاح هذه الصناعة في مصر نجاحاً جلياً المظهر . ولو تبين لنا من أبحاث زراعية يجب ان نقوم بها إمكان زراعة المطاط في مصر لذاً لأصبح أمر نجاح هذه الصناعة مؤكداً

\*\*\*

أيها السادة : لقد حاولت ان أوضح لحضراتكم في كلمات قليلة حالة الصناعة المصرية وآثرها في الاقتصاد القومي في السلم وفي الحرب  
حاولت أن أوضح : أولاً — أن انتشار الصناعة في البلاد هو السبيل الوحيد لرفع مستوى معيشة الطبقات الفقيرة والطريق الوحيد لعلاج مشكلة الفقر والبطالة ولايجاد عمل في المستقبل للشباب المتعلم وغير المتعلم  
ثانياً — أن انتشار الصناعة وازدهارها هو السبيل الوحيد لسد حاجات أهل البلاد من الضروريات بأثمان مقبولة وقت الحرب وإبان السلم  
ثالثاً — أن انتشار الصناعة هو — كما بينت لحضراتكم — الأساس المتين الذي ترتكز عليه في المستقبل جميع الجهود لا مكان الدفاع عن سلامة البلاد  
وإني لأشك في أن الصناعة تتمتع برعاية الحكومة وتأييدها . لذلك رأيت من واجبي ان أترجم لأولي الامر ولجميع المفكرين في مصر عما يحيش في صدور رجال الصناعة من خواطر وآمال

وأسعد الأيام — أيها السادة — هو يوم رى فيه بلادنا وقد رسمت فيها أقدام الصناعة على أقوى الدعائم وأصبحت فيه بلاداً صناعية كما هي الآن بلاد زراعية بل هو اليوم الذي نطمئن فيه على زوال شبح الفقر والعوز الذي يطارد كثيراً من الطبقات ، في مصر . وهو اليوم الذي يحقق فيه علم السعادة والهناءة على بلادنا المحبوبة . جعلها الله دائماً وفورة الخير والبركة والسلام في ظل مليكنا المعظم « فاروق » حفظه الله لمصر وللصناعة المصرية راحياً ونصيراً .



## صرفت حبيبتي عني

صرفت حبيبتي عني ، وناشدتها الله  
ألاّ تعود اليّ إلاّ من بعد أن تتقن الحب

لكنها ما عتمت أن طادت وأكبت بشفتيها على شفقي  
كأنها الرضيع الجائع يكب على ثغرها  
وعند ما انتشت وتنهدت تنهدة الشهوة الظافرة  
سلختُ فمها عن فمي وهمست في أذنها :  
إليك عني يا يمامتي  
لقد أيقنت تغذية ملذاتك المائنة  
أما الحب فما تعلمته بعد

وأطلت على الأرض أهلة حول بكامله  
وإذا بحبيبتي تسترق خطاها الى مخدعي  
كأنها الحلم عند الفجر  
وإذا بها تجثو عند قدميّ فتغسلهما بدمعها السخين  
وتجففهما بأنفاس مهجتها المتأججة  
وعند ما ابتهمت عينها الى عيني همست في أذنها  
انهضي ، انهضي ، يا يمامتي ، وإليك عني  
لقد تعلمت كيف تروين أحزانك العطشى  
أما الحب فما تعلمته بعد



وانقضى الحول والحولان من قبل ان عادت حبيبتني تفرع بابي  
وفي يدها الواحدة مبخرة ، وفي الأخرى شمعة مشعلة  
وما إن اجتازت العتبة حتى أخذت تسجد لي وتمجدني  
بصوت كله حنين وإيمان وورع  
وعند ما فرغت من عبادتها همست في أذنها  
اذهي ، اذهبي بسلام يا يمامتي  
لقد أتقنت تمجيد محاسنك الموهومة  
أما الحب فما تعلمته بعد

ومرت دهور لم أرَ لحبيبتني في خلاها وجهاً  
فأيقنت أن المنية أدركتها  
من فرط قساوتي ووفرة حبها  
ورحت أبحث عن مقرها الأخير  
الى ان بلغت شاطئ اللاذقية  
واذا بي أبصر حبيبتني هناك  
غارقة في لجة من الأحلام  
فدنوت منها بخفة ، وبرقة فائقة سألتها  
ما بالك وحدك على هذا الشاطئ المهجور ؟  
فأجابني برقة فائقة  
أأكون وحده من أضاع ذاته في الحب ؟  
اذذاك هتفتُ عالياً :  
الي ، الي يا حمامتي  
لقد آن وقت الطيران (١)

(١) ترجمة نثرية لقصيدة بالانكليزية للشاعر نفسه ، من ديوانه الجديد « خمس الجفون »  
تري تقدأ له بقلم الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني في باب المكتبة لهذا العدد



# غزو روسيا

تفشل فيه ثلاث دول في ثلاثة عصور

- ٣ -

لادوار مرقص

من اعضاء المجمع العلمي

## اغارة الالمان على روسيا

فرغنا من ايراد ما استحسننا ايراده من أخبار الغزوتين الهائلتين في القرنين السابقين على روسيا وكيف أخفقتا كل الاخفاق ورد كيد الغازين المقتحمين في نحورهم . وحان لنا الآن أن نشير الى الغزوة الثالثة الحاضرة التي لا يزال العالم يرى آثارها ويسمع أخبارها . وقد انقضى عليها حتى كتابة هذه السطور - أواخر ايلول (سبتمبر) ١٩٤٣ - سنتان وثلاثة أشهر وكان الزعيم الالماني الطاغية هتلر قد أعلن مطبلاً مزمراً أن ثلاثة أشهر كافية وحدها له وجيوشه الضخمة ومعهم جيوش ست دول تحالفهم لسحق روسيا واستعبادها كما سحق واستعبد غيرها من الشعوب والأمم في أقل من سنة . فاذا الروس غير من عهدهم من الشعوب واذا مكايدهم الحربية واستعدادهم العسكري فوق ما قدره وتصوره . ومع أنه نال منهم ومن بلادهم منالاً عظيماً في السنة الاولى من الكفاح الى أواسط السنة الثانية أفهموه لأول وهلة بقوة وأفهموا الخبراء العسكريين المحايدين الذين يراقبون احواله وأحوالهم ان ما كان يدعى لنفسه ويدعى له الناس من ان جيوشه لا تقاوم ولا تغلب إنما هو حديث خرافة ، وأن ما اصطلح على تسميته بالحرب الصاعقة أو الحرب الخاطفة لسرعة انتصاراته فيها بفضل تفوقه على عدوه أضعافاً مضاعفة في العدد والعتاد إنما هو ظل زائل الطوى بساطه واضمحلت غمامته فلا مندوحة له عن الصبر والمصابرة في مكافحة الروس وخسران الشيء الكثير من الوقت الذي يفيدهم ويهدده . فيئس منذ الاتهامات الاولى من تلك الحرب الصاعقة التي أصلى نار جحيمها كل من اقتحمهم من بولونيين وفرنسيين وبلجيكيين وهولانديين وزوجيين وغيرهم . وهكذا تمكن الروس بتلك المطاولة التي أكرهه عليها من أن يتمموا استعداداتهم ولبسوا شعهم ويسدوا كل ثلثة لمحوها في جيشهم ، ومن ثم استردوا منه الى الآن ( أوائل خريف سنة ١٩٤٣ ) ثلثي ما كان دوحه



من بلادهم أو ما يفوق الثلثين وهم جادون في استرجاع البقية ولا شيء يعادل توفيقهم وقوة عزيمتهم إلا تضعضع العدو وانهيار عزمته وانفضاض حلفائه عنه واحداً بعد الآخر. ومن المنتظر أن يصلوا بالحرب الى بلاد العدو ويحاربوه في عقر داره ويحاسبوا الألمان حساباً دقيقاً على الفظائع والجرائم التي ارتكبوها في روسيا العظيمة المقدسة. وهذا المصير العادل قد يحين حينه في أوائل الشتاء القادم وإن تأخر فالى أواخر الشتاء حسب تقدير أولي الخبرة من رجال الحرب. ولا بد أن يشارك الروس في المرحلة النهائية القادمة جميع حلفائهم من انكليز واميركيين وفرنسيين وبولونيين وغيرهم. وهكذا تكون روسيا هي العامل الأكبر في سقوط المانيا الهتلرية والقضاء على مطامعها وانقاذ البشر من شرورها كما كانت العامل الأكبر في اخفاق الغازي العظيم كارلوس الثاني عشر الاسوجي وإذلاله ثم في قهر شاغل الدنيا ورابعها بفتوحاته نابليون الاول. وعن قريب متنضم اليهما روح هتلر حاملة لهما التحيات والذكريات الفاجعة والعبر الرادعة فيتبادلون أحاديث خالدة في طلم البقاء

وأما الحقائق التي يتبينها العاقل المنصف من الحملة الالمانية النازية الحاضرة في روسيا فهي هذه :  
أولاً — ان الجيش الروسي أضاف الى بسالته التاريخية نظاماً عسكرياً بديعاً وتدابير حربية عجيبة. ولم يكن له شيء من ذلك في عهده السابق

ثانياً — ان وطنية صحيحة لا تتزعزع راسخة في أعماق نفوس الروس حتى أنهم في طرفه عين نسوا اضعفائهم وانقساماتهم السياسية والدينية اذ رأوا خطر الغزو يتهددهم فتصالحوا ظاهراً وباطناً وتآلبوا يداً واحدة على العدو المعتدي وفعلت نساؤهم وأحداثهم في مقاومته والنكاية به ما يكاد يعجز عنه فحول الرجال

ثالثاً — ان لروسيا بفضل علمائها المبرزين نصيباً ممتازاً من العلم والفن والاختراعات الحربية الجمة ، دلت عليه أحوالهم في الحرب الحاضرة وآخر ما سمعنا به من اختراعاتهم المدافع الضخمة المتحركة الجديدة التي لها مزايا تفوق مزايا المدافع الاعتيادية في مقاومة الدبابات وقض شوكتها

رابعاً — ان النظام الاشتراكي المتولي اليوم زمام الاحكام في روسيا ويعرف بالنظام السوفياتي أو البولشفي والذي أنال الروس التقدم العظيم الأنف وصفه ليس فيه الشذوذ الذي سمعنا به عنه ولا هو على الفظاعة التي كانت تنسب اليه عمداً أو جهلاً أو مجازاةً لعوامل ميامية مقصودة. وبه ألم بطرف مما أشيع عنه وذلك اضطراراً في أوائل نشأته لأجل ترميخ أقدامه فلا شك انه اعتدل بعد ذلك أي اعتدال وصالح الكنيسة ورجال الدين وعطف عليهم في بعض أمورهم حين رآهم مع عشرات الملايين من تبايعهم وهم



رعاياه لا يقولون اخلاصاً للوطن الروسي واندفاعاً في سبيل تعزيره ووقايتة عن سائر اخوانهم الروس الذين اتخذوا المبدأ البولشفي

خامساً : ان أعظم الأدلة وأوضحها على اعتدال البولشفيك ان زعيمهم العظيم ومارشالهم المظفر ستالين أصدر أمره في أثناء الحرب الحاضرة بالغاء المجلس البولشفي الدولي الأعلى في بلاده . وهو المجلس العظيم النفوذ الذي كان يشرف على نشر المبدأ البولشفي خارج روسيا ويدعم دعاياته هناك بمسغفات مادية ومعنوية لا تكاد تنفد . فلما ألغى ستالين هذا المجلس ازال من صدور الناس ولا سيما صدور حلفائه من فرنسيين وانكليز وأميركيين وغيرهم آخر حزازة بقيت في صدورهم منه وآخر تهمة كانوا يوجهونها اليه ولو سراً . فتصافت القلوب والنيات . وقد قال احد مفكري الديمقراطية اولئك : « ان المبدأ البولشفي بعد اعتداله والمبدأ الديمقراطي يكادان يلتقيان في صعيد واحد » . قلنا والظاهر ان هذا التقارب الذي بين المبدأين كان أعظم سبب هوّن على ستالين الغاء المجلس البولشفي والدولي تخفف عن كاهل دولته أوزاراً من المتاعب والمصاعب وعن خزيتها قناطر من المال في كل سنة

ومما يثلج الصدور ويدعو الى الامان والاطمئنان ويفتح امام البشرية باب الآمال المذهبة على مصراعيه ان روسيا — كما صرح غير مرة دهاقنة السياسة الانكليز والأميركيين — ستكون بعد ما تنتهي الحرب الحاضرة عضواً فعالاً عظيم الاثر في انشاء نظم سيامية واجتماعية واقتصادية — جديدة للعالم تكون خيراً من نظمه الحاضرة وأقوى منها على اتقاء الكوارث والويلات والمعضلات وأكفل لها لاغتنام الخيرات والبركات في ظل أحسن عالم وطيد الاركان . وفي مقدمة الوسائل المتخذة لهذا المشروع الانساني الأعظم ميثاق الثلاثينيك . ومداره تساوي الحقوق بين الامم ، كبيرها وصغيرها ، قويها وضعيفها . فليشكل اممة كرامتها واستقلالها ومسغفات لها على رغد الحياة وصفاء العيش بتسهيل المواصلات بين اجزاء المعمور وازالة الشيء الكثير من الحواجز والعوائق الحالية وفي جملتها المكوس اي الرسوم الجمركية وإجراءات السفر والانتقال . وبديهي ان نجاح هذه المساعي العالمية يكون متعذراً او متعسراً مشكوكاً فيه جداً اذا ظلت روسيا على تقاليدها القديمة في الابتعاد عن سبيله مفضلة الانفراد والانفصال واتباع نظم معينة تختص بها أو اذا ظلت الدول تسعى الى ابعاد روسيا عن هذا السبيل حذراً منها او تحاملاً عليها ، وروسيا جزء عظيم من العالم ولا سيما في نهضتها الحاضرة . فكل اصلاح يراد للعالم وليس لروسيا يد فيه ولا رضى به يظل اصلاحاً أشل أعرج معتلاً لا تكتب له حياة طويلة . أمّا وقد صرحت اليوم الدولة الروسية بصديقيتها في مشاركة حلفائها المساعي العمرانية والسيامية ورحب الحلفاء ملقاً بهذه المشاركة فقد ذلت عقبة كؤود في سبيل الخير العام الذي يتوخونه وتفتظره البشرية منهم .



## دار الحديث النورية

للدكتور اسعد طلس  
عضو الجمع الفرنسي بدمشق

هي أول دار حديث أنشئت في الاسلام كما يقول السبكي<sup>(١)</sup> وقد خرجت جمهرة عظيمة من المحدثين والمؤرخين . وتقلب عليها طائفة من الشيوخ والمدرسين لم تحظ بهم مدرسة من المدارس بدمشق كما سترى ذلك فيما بعد

تاريخها ✽ ليس على باب هذه الدار ولا في حيطانها كتابة تعرفنا بها او تكشف لنا عن تاريخها . ولكن امام باب المدرسة العادلية الصغرى التي بنتها الاميرة الايوبية السيدة زهرة خاتون ابنة الملك العادل<sup>(٢)</sup> . والمؤرخون الذين يحدثننا عن العادلية الصغرى يقولون إنها امام دار الحديث النورية ، كما يقولون انها تقع بين دار الحديث الاشرفية — وهي ما تزال عامرة موجودة مشهورة — وبين المدرسة العسرونية التي درست وبني علي انقاضها مخازن ودور ولم يبق الا<sup>(٣)</sup> جزء من صحنها في بركة وايوان للصلاة وما عدا ذلك درس<sup>(٣)</sup>

واسمها يدل على ان بانيتها هو السلطان العادل نور الدين محمود بن زنكي بن اقسنقر التركي السلجوقي مؤسس الدولة النورية العظيم ( ٥٦٩ هـ — ١١٧٤ م ) وقيل بل التي بنتها هي السيدة عصمة الدين خاتون زوج صلاح الدين وهو خلاف المعروف ولم أر من ذكره سوى بدران

(١) نقله الشيخ عبد القادر بدران في «مناداة الاطلاع» (ص ٧٨) من مخطوطة دائرة ارقف دمشق ولا يذكر السبكي في الطبقات الكبرى ( ٤ / ٢٧٧ ) سوى قوله « وكان الملك العادل محمود بن زنكي نور الدين قد بني له — اي لابن عساكر — دار الحديث النورية فدرس بها الى حين وفاته »

(٢) العادلية الصغرى هي غير العادلية الكبرى — مقر الجمع العلمي العربي بدمشق — وسفصف هذه فيما بعد — وأما العادلية الصغرى فهي في سوق العسرونية في جانبه الشمالي ، وسنصفها بعد أيضا (٣) هي في محلة حجر الذهب المعروضة الآن بباب الريد في دخلته العسرونية بناها عبد الله بن هبة الله ابن أبي عصرون الموصلية ( ٤٩٢ — ٥٨٥ ) كان عالماً سرياً ولاء نور الدين وصلاح الدين القضاء بالشام وكان نور الدين يعتقه فبني له عدة مدارس بسورية وبني هو مدرسته هذه



في «منادمة الاطلاع» واعلمها بنت فيها شيئاً او وقفت لها وفقاً فظن بعضهم انها هي التي بنتها ولا يجوز الدكتور سوفاجه بشيء في مبدأ امرها بل يقول انها بنيت بين سنة (٥٤٩ هـ - ١١٦٤ م) وهي السنة التي امتلك نور الدين فيها دمشق وبين سنة (٥٦٩ هـ - ١١٧٤ م) وهي السنة التي مات فيها<sup>(١)</sup>. ولم استطع انا على كثرة تنقيي الاهتداء الى نص يقطع بذلك ويعتمد على حوادث تاريخية

من المعروف المتفق عليه ان نور الدين بناها لمحدث دمشق العظيم ومؤرخها الحافظ بن عساكر ويظهر ان المؤرخ الدمشقي بعد ان طوف في العالم الاسلامي من اقصاه الى اقصاه يطلب العلم والحديث استقرت به النبى في مسقط رأسه فأخذ يدرس ويؤلف ولم يكن بالشام ايامئذٍ دور علم كالتي رآها في بغداد او فارس والمشرق

ويظهر انه كاشف نور الدين بذلك او ان نور الدين نفسه قد أحس بذلك فبنى له هذه الدار وظل يدرس بها ويستقبل العلماء والطلاب الى أن وافاه أجله تخلف من بعده نهر من أسرته يقفون أثره، ومسترى تفصيل ذلك فيما بعد

وقد ظلت هذه الدار عامرة يؤمها الطلاب والعلماء من أقصى الارض ففي شهر ربيع الآخر من سنة ثمانين وخمسمائة للهجرة زار دمشق الرحالة الاندلسي ابو الحسين محمد بن احمد المعروف بابن جبير الكتاني فنزل بها وهذا نص كلامه «... وصلنا دمشق في الضحى الأعلى من يوم الخميس الرابع والعشرين لربيع الاول والخامس ليوليه، واستهل هلال ربيع الآخر يوم الاربعاء بموافقة الحادي عشر ليوليه ونحن بدمشق نازلين منها بدار الحديث غربي جامعها المكرم<sup>(٢)</sup> » ومن المؤسف جداً ان ابن جبير على الرغم من اقامته في هذه الدار نحواً من شهرين لم يحدثنا بشيء عنها ولا عمن فيها من الطلاب والشيخ ولا عما يقرأ فيها من العلم وكتبه على كثرة ما كتب عن دمشق ومعاهدها وأخبارها. وكل من يحدثنا عن هذه الدار بعد ابن جبير لا يحدثنا بشيء من تاريخها فلا نعرف ما أصابها ولا الأدوار التي مرت بها ولا ما وقف في سبيل مصالحها. وكل ما نعرفه عنها هو ما يحدثنا به النعمي في كتابه « تنبيه الطالب وارشاد الدارس » نقلاً عن المؤرخ الاسدي في كتابه « الكواكب الدرية في السيرة النورية » من أن وقف هذه المدرسة كان قليلاً. وقد نقل هذا النص بدران في منادمة الاطلاع ولم يزد عليه<sup>(٣)</sup>. ويقول المؤرخ الدمشقي ابن كثير في

(١) J. Sauvaget, Les Monuments Historiques de Damas, 53

(٢) « رحلة ابن جبير » ص ٢٣٩ طبع مطبعة السعادة بمصر

(٣) المنادمة — مخطوطة الاوقاف — ص ٧٨



«البداية والنهاية» «ان في سنة احدى عشرة ومائة ومع الخندق مما يلي القيازية<sup>(١)</sup> فأخربت دور كثيرة وحمام قياز وفرن كان هناك وفقاً على دار الحديث النورية»<sup>(٢)</sup>. وقد نقل هذا الكلام عبد القادر بدران وقال بعده: «ولما بنى الملك الاشرف دار الحديث الاشرفية غربها — سنة ثلاثين ومائة — شرط أن يؤخذ من وقفها ألفا درهم فتضاف الى وقف دار الحديث النورية فانصلح حالها»<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

وفي سنة تسع وتسعين وسبعمائة حين دخل التتار دمشق احترق قسم كبير من المدينة وكانت هذه الدار وغيرها من معاهد العلم طعمة للنار. قال الذهبي في مختصر تاريخ الاسلام «وفي سنة تسع وتسعين وسبعمائة دخل التتار دمشق وشرعوا في المصادرة والفسق ونهبوا الصالحية وسبوا أهلها ووقع الحريق من صاحب سپس والكفرة وعملوا المنجنيق والنقوب فأحرق أهل القلعة دار السعادة — مقر النائب — ودار الحديث الاشرفية، والنورية، والعادلية، وخربت تلك المحلة، وبقيت محلة باب البريد اصطبلًا فيه الزبل نحو ذراع<sup>(٤)</sup> ويظهر ان هذه الدار قد أعيد بناؤها أو بناء بعض مرافقها بعد تلك النكبة حتى جاء العصر التركي فأخذت تضمحل حتى كادت تدرس. ويحدثنا الشيخ بدران عنها في هذا العصر فيقول «تقلبت بها الايام والدهور فأصابها ضرب مما أصاب دار الحديث الاشرفية فصارت للسكنى وطمس حراب مسجدتها وطمرت بركة مائها لتغير رسومها فأرشد الله تعالى لاستخلاصها العالم الفاضل الفقيه الشيخ أبا الفرج ابن العالم الفاضل الصالح الشيخ عبد القادر الخطيب الدمشقي فأنقذها من يد مختلسها وجلس يقرئ فيها الدروس ولقد شاهدها وتأملتها أثناء كتابتي لهذه السطور فاذا هي الآن تشتمل على دهليز لطيف الخ»<sup>(٥)</sup>. هذا ما يقوله بدران

أما في أيامنا هذه فقد تهدمت ولم يبق من آثارها شيء إلا بابها وصحنها وفيها غرفة تكاد ان تنقض والقبليّة مهتمة أيضاً والحراب النفيس عرضة للاندثار وهي اليوم مقر لبعض الفقراء

(١) هي مدرسة صارم الدين قياز النجمي وكان متولي أسباب صلاح الدين في مخيمه وبيوته. وقد درست وكانت داخل بابي النصر والفرج ويقول بدران ص ٢٦٣ يؤخذ من كلام ابن كثير والعماد الكاتب انها كانت بالقرب من دار الحديث الاشرفية — بالعصرونية — (٢) البداية والنهاية ج ١٣/٦٨  
(٣) المنادمة ص ٧٨ (٤) النظرة في المنادمة لبدران ص ١٧٥ أثناء كلامه على المدرسة العادلية الصغرى  
(٥) النظرة في المنادمة لبدران ص ٧٧



﴿مدرسوها﴾ : أول من درس فيها حافظ دمشق علي بن الحسن بن هبة الله ثقة الدين المعروف بابن عساكر البدمشقي الشافعي صاحب تاريخ دمشق الكبير (٤٩٩هـ - ١١٠٥م - ٥٧١ - ١١٧٦) <sup>(١)</sup> وقد ظل يدرس فيها الى أن مات. ثم تولى امورها ابنه القاسم ابو محمد بهاء الدين الحافظ المسند كابيه (٥٢٧هـ - ١١٣٣م - ٦٠٠هـ - ١٢٠٣م) <sup>(٢)</sup> والمؤرخون يذكرون ان القاسم هذا كان كثير التعفف عن مالها وانه لم يتناول من مرتبه شيئاً بل جعله لمن يرد عليها من الطلبة والعلماء. وقيل انه لم يشرب من مائها ولا توضأ مغالاة منه <sup>(٣)</sup>. وبعد ابي محمد هذا اخذ يتوالى عليها نفر من بني عساكر <sup>(٤)</sup> ثم اسندت الى الحافظ البدمشقي زيد الدين خالد بن يوسف بن سعد النابلسي <sup>(٥)</sup> ثم تاج الدين ابو محمد عبد الرحمن بن ابراهيم ابن سباع الفزاري المصري المعروف بابن الفركاح (٦٢٤هـ - ١٢٢٧م - ٦٩٠هـ - ١٢٩١م) <sup>(٦)</sup> ثم توالى عليها طائفة من المدرسين <sup>(٧)</sup> أشهرهم الحافظ المؤرخ العظيم ابو محمد القاسم بن محمد بن يوسف علم الدين البرزالي صاحب ذيل تاريخ ابي شامه والمعجم الكبير (٦٦٥هـ - ١٢٦٧م - ٧٣٩هـ - ١٣٣٩م) <sup>(٨)</sup>. ثم جماعة لم تصلنا اخبارهم



﴿موقعها وتخطيطها﴾ : لا تزال الدار موجودة في حي العسرونية كما تقدم ولم يبق من بنائها الا جبهتها الحجرية وفيها الباب الحسن ومحرابها، وبعض مرتفعاتها وعلى الرغم من عدوان الدهر عليها، لا تزال معالمها موجودة وخطوطها الرئيسية معروفة بنيت هذه الدار فوق مربع مساحته (١٦ر٣٠ متراً × ١٧ر٢٠ متراً) كما يذكر الدكتور

- (١) انظر ترجمته في معجم الادباء لياقوت ١٣٩/٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٧٣/٤ وشذرات الذهب لابن العماد ٢٣٩/٤، وطبقات الحفاظ للذهبي ١٢٢/٤. ومقدمة الجزء الاول من تهذيب تاريخ دمشق المطبوع بدمشق بعناية عبد القادر بدران وبروكلان في: G. A. L. ٣٣١/١ وذيله ٥٦٦/١ (٢) انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ١٤٨/٤ وطبقات الحفاظ للذهبي ١٥٦/٤، وكشف الظنون للحاج خليفة ٥٧٥/٢ و بروكلان G. A. L. ٣٣١/١ والذيل ٣٦٩/١ (٣) انظر بدران ص ٧٩ (٤) نذكر منهم: زين الامناء الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله، وعبد الوهاب بن زين الامناء. انظر بدران ص ٧٩ (٥) لم نعر فيما بين يدينا من المصادر على ترجمته (٦) انظر ترجمته في فوات الوفيات للكتبي ٢٥/١ وطبقات الشافعية للسبكي ٦٠/٥ وشذرات الذهب لابن العماد ٤١٣/٥ و بروكلان G. A. L. ٣٩٧/١ والذيل ٦٨٦/١ (٧) نذكر منهم الحافظ محمد بن علي بن محمد الصابوني، ثم مجد الدين بن المبتار، ثم نضر الدين بن الحنبلي ثم شرف الدين احمد بن نعمة النابلسي ثم علاء بن العطار ثم البرزالي (٨) انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٤٦/٦. و ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٥٣ و ذيل طبقات الحفاظ للدمشقي ص ١٨ و بروكلان G. A. L. ٣٦/٢ والذيل ٣٥/٢



سوقاجه<sup>(١)</sup> يتوسط هذا المربع بركة جميلة للوضوء يكتمنفها من الشرق والغرب غرف وفي الجنوب مصلى واسع

والى القارىء وصفها كما كانت قبل ثلاثين او اربعين سنة معتمدين على ما ذكره المؤرخ بدران : هي الآن تشتمل على دهليز لطيف فيه عن يمين الداخل حجرة وعن يساره باب مسدود ويظهر انه باب حجرة ايضا ولكنها صارت حانوتا للبضائع والتجارة ولها ساحة لطيفة وفي وسطها بركة ماء على نمط قديم وهندسة لطيفة وبها مسجد طوله احدى وعشرون خطوة وعرضه خمس خطوات وسقفه معقود بالحجارة والاجر اللتين ومحرايه من الحجر المحفور المعجّن. وبالجانب الشرقي من الساحة حجرتان جديدتان وفوقهما غرفتان مثلهما وهما من بناء أهل الظير بواسطة الشيخ عبد القادر بن أبي الفرج بن عبد القادر الخطيب وفوق دهليزها غرفة ايضا<sup>(٢)</sup>

هذا وصفها كما كانت أيام بدران أما وصفها كما تخيلها ، الدكتور سوقاجه فكما يلي : يرى الداخل اليها أول ما يرى بعد أن يترك الباب قبة نغمة من تحتها بهو على النمط المعروف في أكثر المعاهد المبنية في هذا العصر والى جانبي البهو غرفتان شرقية وغربية ثم يدخل الى الصحن المربع وفي شرقه غرفة مستطيلة والى امتدادها غرفة أخرى أصغر . ثم الى غربي الصحن غرفتان كهاتين . وفي جنوبي الصحن القبالية الواسعة المستطيلة<sup>(٣)</sup> . هذا هو موجز الوصف الذي يذكره سوقاجه معتمداً قواعد عمرانية وملاحظات فنية دقيقة . أما وصفها في أيامنا هذه فكما يلي : يدخل من الباب الى صحن الدار مباشرة أما البهو والغرفتان الشرقية والغربية والقبة فلم يبق لهما من أثر وقد أرجع الباب نحواً من ثلاث أمتار . وفي الصحن البركة المطمورة بالتراب والى جانبها غرفتان شرقية وغربية بناؤهما حديث ومن فوق الغرفة الشرقية غرفة علوية يصعد اليها بسلم حجري من الصحن . أما القبة فلم يبق منها إلا حائطها الجنوبي وفيه المحراب الذي يكاد أن ينقض والحائطان الشرقي والغربي أخذان في الاندثار  بناؤها ونقوشها  من أروع ما يجتذب اطلال هذه الدار اطار بابها وحائط قبلتها الجنوبي ومحرايه ، فأما اطار الباب ورقعته<sup>(٤)</sup> وهو من الحجر الاصفر الجميل ، الحسن في تنسيقه . وأما حائط القبلة فمن الحجارة المنحوتة الضخمة ويرى سوقاجه انها كانت مأخوذة من معبد قديم كان بجوارها . وأما المحراب فهو من حجارة منحوتة أيضاً منقول من موضع

(١) es Monuments Ayyaubides, 15

(٢) مناداة الاطلال ص ٧٧ (٣) Les Monuments Ayyaubides de Damas

(٤) نريد بالرفعة ما يسميه رجال الآثار من الفرنجة ( Tabula ansata )



آخر قديم . وما عدا هذا فكل ما في الدار من عناصر البناء عادي أو دون العادي فالآجر المستعمل في بناء العقود والأقواس والكوى هو آجر رديء الجنس سهل التفيت ، والخشب المستعمل في البناء والاسكفات هو من الخشب العادي أما نقوشها فقليلة جداً وهي نقوش الحراب والباب . فأما نقوش الحراب فهي نقوش قديمة منقولة من مكان قديم كما يرى سوفاجه <sup>(١)</sup> وهي نقوش تشكل نصف دائرة من الزخارف المعجنة تحيط بقنطرة الحراب وهي نوعان ( الاول ) نقوش زخرفية تشبه بعض الشبه النقوش العربية المعروفة بـ arabesque و ( الثاني ) نقوش تمثل بعض الفواكه الاقليمية من عنب وتفتح وورق جيد . وقد نقشت هذه النقوش بشكل بارز . وفي هذا دليل على ان هذه النقوش منقولة من معبد قديم وإلا فكيف ترسم هذه الثمرات البارزة الجميلة بين يدي الواقف في حضرة الله . وأما نقوش الباب فنقوش ساذجة بسيطة وهي عبارة عن خطوط ثلاثة غائرة في الحجر تحيط بالباب من جهاته الثلاث ومن فوقها رقعة مستطيلة على امتداد اسكفة الباب العليا وهي رقعة غائرة ايضاً يظهر انهم كانوا يريدون ان يكتبوا عليها بعض الكتابات فلم يفعلوا

﴿مزاياها الفنية﴾ : قلنا في صدر هذا البحث ان هذه الدار هي اول دار حديث بنيت في الاسلام كما يرى ذلك بعض المؤرخين واذا صح هذا كان من الطبيعي ان تتخذ انموذجاً لبناء دور الحديث التي بنيت بعدها كدار الحديث الاشرفية وغيرها من الدور وان من المؤسف ان تكون معالمها غير واضحة وضوحاً يبين تقسيماتها ومرتفعاتها وغرفها ثم ان يد المختلسين التي اختلست قسماً كبيراً منها تضطرننا الى أن نقول ما نقوله بشيء من الخدس والتخمين

ويظهر من الاستنتاجات العمرانية التي انتهى اليها سوفاجه والتي أشرنا اليها حين بحثنا عن موقعها وتخطيطها أن نمط البناء العراقي واضح فيها كل الوضوح كما يتجلى ذلك في اسلوب بناء الاقواس والقناطر والآجر المستعمل في ذلك وقد بحثنا هذا في مقالنا المنشور عن قبة صفوة الملك في عدد مارس سنة ١٩٤٣

ويلاحظ ان هناك شياً شديداً بين نمط بناء الدار وبين بعض المدارس الدمشقية كالمدرسة الريحانية <sup>(٢)</sup> والمدرسة العذرائية <sup>(٣)</sup> وهذا الشبه يتجلى بوضوح في خبوء هذه المعاصر من طابع

#### Les Monuments Ayyauides 1<sup>(١)</sup>

(٢) الريحانية هي مدرسة ريحان الطواشي خادم السلطان محمود بن زنكي وهي بجوار المدرسة النورية من الجانب الغربي وهي اليوم كتاب للاطفال . انظر بدران ص ٢٣

(٣) العذراوية هي مدرسة السيدة عذراء بنت صلاح الدين (٥٩٣) وهي جوار المدرسة الفجائية بزقاق المبلط غربي حمام الست عذراء وقد صارت الآن داراً ولم يبق منها سوى قبر الواقعة انظر بدران ص ١٧٥



لا تكاد تخلو منه مدرسة وهو الرواق . ومن هنا يمكننا أن نقول ان نظام الاروقة لم يكن معروفاً في المدارس الاولى التي بنيت بدمشق في اوائل العصر النوري والصلاحي ويمكننا بالقياس الى ما عرف من نظام المدارس المتأخرة عن النورية ان القبلية كانت تستعمل للعبادة والدراسة معاً وان الغرفتين المستطيلتين الشرقية والغربية كانتا تستعملان للتدريس . أما الغرفتان الصغيرتان اللتان على امتداد هاتين فقد كانت إحداها تستعمل غرفة للشيخ وثانيتهما مكتبة وأما الغرفتان اللتان تكتنفان المدخل فاحداها للخادم والاخرى للدخائر والمؤن

ويلاحظ الاستاذ سواقه أيضاً<sup>(٢)</sup> ان المدارس ودور الحديث التي ظهرت بكثرة في الدولتين النورية والصلاحية هي معاهد شديدة التأثير بالنظر الاسلامي العراقي او المشرقي بوجه عام لان بناء هذه المعاهد أكثرهم من أقوام جاءوا بلاد الشام من تلك الاصقاع فأحيوا فيه نظماً ما كان يعرفها . وطبيعي اذن أن يكون الأثر العراقي واضحاً في أسلوب البناء كما كان واضحاً في الانظمة المتبعة في هذه المدارس . ويغالي الاستاذ فيقول : ان هؤلاء الامراء الذين جاءوا الشام من العراق ، لما كانوا غرباء عن البلاد وغير مطمئنين الى اهلها في اداراتهم ومسياساتهم لم يكونوا كذلك — في أغلب الظن — مطمئنين اليهم في بنائهم وأنظمة تعليمهم فلذلك أحضروا بنائين ومهندسين من بلادهم الاولى — العراق وما اليه — ثم يعود الاستاذ فيشيط في هذه النظرية قائلاً : اننا لا يمكننا أن نطمئن كل الاطمئنان الى هذه النظرية لأن بناء هذه الدار غير جميل ولا مستوف لكثير من شروط البناء الفنية على الرغم من جودة التخطيط وحسن الهندسة . فما هو السر في ذلك ؟ هل هو في ان هؤلاء الامراء كانوا يجلبون من العراق مهندسين ومصممين حتى اذا ما جاء المهندس ونظم خريطته وتصميمه عهد بذلك الى عمال وبناءة من أهل البلاد ليس لهم فن العراقيين ولا خبرتهم العمارة القيمة فشوهوا البناء وأفسدوا الخطة بعض الافساد . وهذا هو ما يتجلى بوضوح لمن يدرس حالة الدار النورية دراسة فنية متمعنة . لعل في هذا الكلام بعض الحق فان ما يلاحظه الانسان من سوء البناء في الدار النورية من جودة التقسيم والتخطيط يجعلنا نأخذ بقوة هذه النظرية<sup>(٣)</sup> وصفوة القول ان هذه الدار على ما أصابها من اضمحلال وفساد توحى الى المرء بتاريخ علمي جيد فحذر بالقائمين على أمور الاوقاف والمعاهد أن ينقذوها من سوء الحالة التي صارت اليها فان في ذلك حفظاً لسمعة البلاد وتمجيداً لتاريخها العلمي

(١) انظر 37 Rev. Arts Asiat. 1934.

(٢) انظر 24—23 Les Monument Ayyaubides

(٣) انظر 25—24 Les Monuments Ayyaubides



# القوة المحركة

من البحر

مصادرها ووسائل استعمالها

لو نفذت جميع موارد الفحم والنفط ، لبقى البحر مورداً عظيماً من موارد الطاقة ،  
يفيض على كل ما يحتاج اليه العالم منها ، مهما يبلغ ارتفاع الصناعة وانتشارها  
والطاقة من البحر قد ترتد الى أحد مصادر ثلاثة . فئمة أولاً الحركة الموجية التي لا تستقر  
على حالٍ حتى في الايام التي يكون البحر فيها رهواً ساكناً ، وهي تتجلى على السواحل ،  
وقوة الامواج إذاً عظيمة حقاً . وليس في الوسع أن نورد أرقاماً تدل على هذه القوة ، لأنها  
تختلف باختلاف المكان والزمان . ولكن — من رأى الضرر الذي يحل بأرصفة مصنوعة  
من الأبرق ، حين تهب العواصف وتثور الامواج ، يدرك القوة العظيمة التي تنطوي في  
حركة مقدار كبير من الماء ترفعه الرياح ويعززه المد والجزر أحياناً  
وحركة الماء في البحر بفعل المد والجزر هي المصدر الثاني من مصادر الطاقة في البحر .  
جاذبية الشمس والقمر ، تظهر مرتين كل يوم في رفع ماء البحر ، رفعاً يتفاوت بتفاوت  
المكان ، ولكنه قد يبلغ أحياناً وفي أماكن معينة أربعين قدماً . وإذا تصوّرت الطاقة  
اللازمة لرفع مقدار من الماء حجمه بضعة ملايين من الاقدام المكعبة ، الى ارتفاع عشرين  
قدماً ، تفُز بصورة صحيحة للطاقة المنطوية في حركة المد والجزر . فاذا كان في الوسع استخدام  
جزء من مائة جزء من هذه الطاقة ، كان الجزء كافياً لتوليد القوة المحركة في بلد كبير  
أما المصدر الثالث من مصادر الطاقة في البحر ، فهو الاختلاف الذي بين حرارة الماء على  
السطح وحرارته قرب القاع . والفرق في الحرارة مصدر من مصادر الطاقة ، فاذا كان ذلك في  
نطاق واسع ، وأمكن استخدامه ، كفي لتوليد ملايين من وحدات الكهرباء بآلية كل سنة  
ان الحركة الموجية في البحر تبلغ من التفاوت مبلغاً كبيراً ، حتى لقد أنكر فريق من  
المهندسين امكان استعمالها . ولكن هناك طرق كثيرة تصلح ، من الوجهة النظرية ، لاستخدام  
الحركة الموجية مصدراً للقوة المحركة . من هذه الطرق طريقة لمهندس كاليفورني تستوقف  
النظر ، ولا سيما لأنه جربها وامتنعها على نطاق ضيق . وأما جهازه فتؤلف من امطوانة تحتوي  
كبّاساً ، فالكبّاس يحرك عجلة في أنشاء صعوده بواسطة تروس ، وحين ينزل الكبّاس



تنفك التروس . هذه الاسطوانة توضع في مصطبة مصنوعة من الأبرق ، مشيدة على الساحل بحيث يكون الماء دائماً قرب مستواها . وهي منحرفة ٤٥ درجة ، وطرفها مفتوح صوب البحر ، فاذا صدمت موجة طرف الاسطوانة المفتوح ، اندفعت فيها الى أن تصطدم بالكباس فتدفعه الى فوق ، حتى تنفذ طاقة الموجة . فاذا تحرك الكباس الى فوق ، بفعل الموجة ، حرك العجلة ، وعند زوله تفك التروس ، فيصطدم الكباس ثانية بالموجة التالية . أما وزن العجلة فيكون كبيراً بحيث يكون قصورها الذاتي كافياً لحفظها دائرة ، بين ارتفاع الكباس اليها مبدا وارتفاعه اليها تالياً

ولكن هناك صعوبة لا بد من مواجهتها ، وهي ان الموجة لا تصطدم بالكباس في موضع واحد ساعة بعد ساعة ، لأن المد يرفع مستوى الماء ، فيكون مستوى الاصطدام في ساعة ما مختلفاً عنه في ساعة سابقة أو لاحقة . وللتغلب على هذه الصعوبة ، استنبط المهندس المذكور جهازاً يرفع الاسطوانة ويخفضها وفقاً لانبساط المد وانحساره . ولهذه الوسيلة في استخدام الحركة الموجية تفصيلات أخرى لا يتسع لها المقام . ولكنها بوجه عام احدى الوسائل العملية التي استنبطت لاستخدام حركة الامواج

على أن الفريق الاكبر من المهندسين وجّه عنايته الى استخدام الطاقة التي في حركة المد والجزر . وهذه مسألة تبدو من الوجهة النظرية غاية في البساطة واليسر . وقد استعملت مطاحن في انكلترا تعتمد على المد والجزر ، منذ أكثر من مائة عام . وكل ما يلزم هو تركيب يمكن الماء المرتفع من تحريك عجلة ، كما تتحرك العجلة في مطاحن تعتمد على الماء الجاري في الجداول والأنهار . أو قد يخزن الماء حين يرتفع ثم يجري فيحرك في أثناء هبوطه العجلة . وأكثر المطاحن القائمة في انكلترا وبعض سواحل الولايات المتحدة ، حيث يشتد المد والجزر ، يعتمد على خزانات تملأ وقت المد ، ثم اذا انحسر المد ، يُسّر للماء المخزون الجريان من خلال فرجة فيحرك العجلة في جريانه . وواضح ان هناك فترة غير قصيرة ، كل يوم ، لا تدور العجلة فيها ، وهي الفترة التي يكون الماء فيها ، داخل الخزان في مستوى ماء البحر . وطول هذه الفترة او قصرها مرتبطان بمقدار الماء الذي يخزن ، وارتفاعه ومعدل جريانه . ولذلك تجد طاحونة من هذا القبيل صالحة لطحن الذرة ، ولكنها لا تصلح لتوليد التيار الكهربائي . فالتوقف في العمل الأول ممكن ، ولكن توليد الكهرباء يجب ان يكون متصلاً لكي يكون نافعاً . وخزن الطاقة الكهربائية لا يزال شاقاً ، كبير النفقة

وقد انشئت مشروعات كبيرة ، للاستفادة بحركة المد والجزر ، لتوليد الطاقة الكهربائية . منها مثلاً مشروع سد نهر سيفرن بانكلترا . وهذا المشروع يقتضي انشاء خزان ارتفاعه



٥٠٠ قدم فوق سطح البحر ، في وادي « واي » . فهذا الخزان يستطيع بما يخزن فيه من الماء على ارتفاع معين ان يولد طاقة تعدل قوة ٧٠٠ الف حصان او مليون طن من الفحم في السنة . ويلوح ان العقبة الكبيرة دون تنفيذه ، هي العقبة المالية ، على قول الاستاذ انولد جيسون ، أحد أماتذة جامعة منشستر . فنفقاته تقدر بأربعين مليوناً من الجنيهات

وهناك مصدر ثالث لاستمداد الطاقة من البحر ، وهو استعمال الفرق بين حرارة المياه على السطح وحرارتها قرب القعر . ففي المناطق المعتدلة ، لا يعد هذا الفرق شيئاً مذكوراً ولا يكفي لتوليد الطاقة ، ولكن في المناطق الاستوائية قد يبلغ الفرق عشرين درجة مئوية بين حرارة المياه على السطح وحرارتها على عمق ٨٠٠ قدم

وقد عني الكيميائي الفرنسي كلود وزميله بوشرو باختراع الاساليب اللازمة للافادة من هذا الفرق في الحرارة . ففي سنة ١٩١٣ أشار كبل الأميركي الى إمكان الحصول على حرارة ميكانيكية او كهربائية من هذا الفرق بين حرارة مياه السطح وحرارة مياه الأعماق ثم انقضت عشر سنوات فتجددت العناية بما سمقت اشارة كبل اليه . ولكن لم يتصد لتحقيق هذه الفكرة الا كلود وبوشرو . فقد أثبتا بالامتحان ان تريئناً يتحرك ببخار يتفاوت ضغطه بين ٣ ارطال و ٣٠٠ رطل على البوصة المربعة يمكن تحريكه ببخار مائي متولد من طبقتين من الماء يبلغ الفرق بين حرارتهما من ٢٥ درجة مئوية الى ٧ درجات مئوية . ومبدأ هذه الطريقة يتلخص في ان جانباً من مياه السطح الساخنة يتحول بخاراً إذا ضعف الضغط الجوي عليه . وهذا البخار يستعمل في ادارة التربين مع ضعف ضغطه . ثم يؤخذ البخار ويبرد بماء مستمد من الطبقة الباردة ويقذف في البحر . فيولد هذا التبريد الفراغ الجزئي المطلوب في الاناء الاول الذي يتحول فيه الماء الساخن الى بخار . ويؤخذ من حسابهما ان قوة قدرها ٣٨٣٠٠٠ « قدم رطل » يمكن توليدها من متر مكعب من الماء اذا كان الفرق بين الماء الساخن والماء البارد نحو خمس درجات مئوية . وعندها أن هذا الأسلوب أ كفاً كثيراً في توليد الطاقة من الاساليب المعتمدة على المد والجزر . وقد أثبتا في اوائل العقد الرابع من هذا القرن ان فرقاً من الحرارة يبلغ ٣٨ درجة مئوية يمكن استعماله لتحريك مولد كهربائي يولد طاقة قدرها ٥٩ كيلو واط

بقيت ناحيتان لا تمتازان الى هذه المصادر الثلاثة بصلة . اما الاولى فاطلاق الطاقة الذرية التي في ماء البحر . وأما الأخرى فالطريقة التي اقترحت من أكثر من عشر سنوات — وقد اقترحها حسين سري باشا (بك حفيظ) لتوليد الطاقة الكهربائية من ماء البحر بجره في أقينية وأنفاق الى حافة منخفض القطارة ثم ينحدر على ترين فيحركه . ويجد قراء المقتطف تفصيل هذه الطريقة في صدر مقتطف ابريل لسنة ١٩٣١



# اللغة البولندية

## وتاريخها

لحسين المهدي غنام

لا يجد الباحث في الادب البولندي شعراً اسطورياً للبولنديين في العصور المتقدمة جداً أي قبل سنة الف للميلاد ... وكما انك لا تجد أبطالاً من أبطال البولنديين الشعبيين في تلك العصور الغابرة مجسّداً في شعر من ذلك النوع ، كذلك لا تجد أثراً من آثار الترجمة لقصائد القرون الوسطى التي عالجت بطولات ومغامرات آرثر أو شارلمان، أو هكتور أو الكساندر ذائعة في تلك القرون ... وغيرها من أدب القروسية . ذلك مع انك تجد شيئاً من مثل ذلك في آداب بوهيمية ، وهي الملاصقة لبولندا غير ان ما وصل الى الباحثين عن تلك الفترة امنخلص من أقول بعض المؤرخين الذين ألفوا باللاتينية ، أمثال : جالس ، كادليك ، بجخخال ، دلو جوش

يقول أول هؤلاء انه يوم موت بولسلاس الشجاع ، كان هناك تفجع عام ويحدثنا بيسكي ، مؤرخ القرن السادس عشر — وقد كتب باللغة البولندية — انه لما عاد كازيمير الاول الى بولندا قابله الشعب وحياه بأغنية مطلعها : مرحباً ، مرحباً بالسيد العزيز وهناك أغانٍ غير هذه الاغنية وجد بعضها في مكتبة فويتستسكي ، ولكن كان من الصعب تعيين تواريخها . على أن أقدم ترنيمة بولندية هي ترنيمة موجهة الى العذراء ، وقد اتخذت أيضاً كأغنية من أغاني الحرب

وأقدم مخطوط لهذه الاغنية تاريخه سنة ١٤٠٨ ، وكان محفوظاً الى عهد قريب في مدينة كراكوف التي كانت قديماً أعظم مدينة بولندية علماً ومدنية وحضارة . وكانت عامة الشعب تنسب هذه الاغنية الى القديس آدالبرت ، ولكن يبدو انها مبنية على أغنية من بوهيمية ولا شك ان كتابة الادب البولندي بدأت باللغة اللاتينية ، على نحو ما بدأ الادب الانكليزي وغيره من آداب الامم الأخرى في عصورها الاولى . وهنا نرى ان الاكثرية من أدباء البولنديين وشعرائهم ومؤرخيهم من رجال الدين ماثلوا أدباء الانكليز وغيرهم من شعوب أوربة أما تاريخ بولنده الوطني فيبدأ مع تاريخ انكثرة الوطني تقريباً ، أي في القرن السادس عشر وأقدم من كتب باللاتينية في أدب البولنديين هو مؤرخهم مارتن جالس الذي يقال انه مات



سنة ١١١٣ وقد قال فيه بعض المؤرخين انه رجل فرنسي ، وبذلك عرفه الاستاذ بروكنر البرليني ، وقد جاءت في أصل هذا الرجل تأويلات أخرى ، ولكن المحقق انه كان غربياً غير بولندي . والتأريخ الذي وضعه هذا الرجل مكتوب في أسلوب شعري خالص ، وقد كان عالي المنزلة . يدل على ذلك ما ذكره الكثيرون من قدماء المؤرخين الذين تلوه

وقد تبسع جالس من المؤرخين ثلاثة آخرون حذوا حذوه ، هم ماتيو خولقا ، فنسنت كادلبك ، بجخشال ، وكان الاولان مطراني مدينة كراكوف ، والثالث قسيس مدينة يوزن وظل فنسنت كادلبك مدة طويلة معدوداً في خير الكتّاب الشعبيين للتأريخ البولندي وكان مثله في ذلك مثل فنزيلوس هاجك في بوهيميا ، فقد كانت له قوة عقلية خارقة وجاذبية في كتابته تجذب حتى الاساطير البعيدة والاقاصيص الخرافية الهائلة الى نفوس الشعب الذي ظل ينظر اليه زمناً طويلاً كسند معصوم من الأخطاء ، فأقبل على قصصه وأنبائه بشغف المنهوم . ولكن قصصه وأساطيره تلاشت قبل نشوء النقد الادبي الحديث فلم تعرف قيمتها ولا حددت مكانتها من أدب مواطنيه الآخرين أو آداب الامم الأخرى

أما كتاب التاريخ الذي وضعه باللاتينية فقد ترجم في نهاية القرن التاسع عشر الى اللغة البولندية بواسطة كاتبين بولنديين لم يعلنوا عن أنفسهم ، وقد أضافا هذه الترجمة الى طبعة الكونت پسيسز چتسكي . وكان كادلبك في نشأته رئيساً لمدينة ساندومير ، ثم مطراناً لمدينة كراكوف . ومات راهباً سنة ١٢٢٣ . وبعد موته أنزله الشعب منزلة القديسين

وعلى اية حال فان مادة كتابه عظيمة القيمة كتأريخ لبلاده ، وان كانت اللغة اللاتينية التي استعملها لغة منكرة منفردة جافة . ولا نجد بعد ذلك ، حتى القرن الرابع عشر ، نماذج محفوظة من اللغة البولندية ، إلا قليلاً من التعابير والشروح ، وبعض أسماء الأشخاص أو الأماكن ، وهذه اللوحات القليلة جمعها بعناية كبيرة الاستاذ ( بودوان دي كورتناي ) في كتابه ( اللغة البولندية حتى القرن الرابع عشر ) . وفي ذلك القرن ظهر بعض المؤرخين الآخرين مثل مارتنوس بولونس ، وجون التشارنيكوفي . وهؤلاء استعملوا اللغة اللاتينية كذلك

ويبدو ان الزامير ترجمت كذلك الى البولندية في القرن الثالث عشر ، فقد جاء في بعض كتب التاريخ البولندي القديمة ان القديسة كونيغند ، من ساندتش القريبة من كراكوف والمتوفاة سنة ١٢٩٢ ، كانت تترنل عشرة مزامير باللغة القومية قبل أن تترك الكنيسة

وفي سنة ١٨٢٦ كشف القديس فلوريان في لتر بالنمسا أقدم نموذج للغة البولندية وأكبر ما عثر عليه حياً من ذلك النوع في هذه اللغة . وهذا الاثر له اسم غريب ، وهو ( كتاب مزامير الملكة مرجريت ) . ويبدو ان هذا المخطوط يرجع الى منتصف القرن الرابع عشر ، وقد وقف على مراجعته باذلاً عنايته الكبيرة في ذلك ، الاستاذ نهرنج من برسلو ، ثم طبعه في



بوزن سنة ١٨٨٣. وكان المظنون أنها نسخة من تأليف قديم . ونظن فئة ان تسمية ذلك الكتاب مأخوذة من اسم مرجريت الزوجة الاولى للملك لويس المتوفاة سنة ١٣٤٩ ، ولكن المؤرخ كارويميل الى ان ذلك الكتاب يمت الى ابنة الملك ميري . والاثر الهام الثاني في اللغة البولندية هو الانجيل الملكية صوفية الذي كان يسمى في الاصل انجيل شارومياتاك ، وهو مكان في الجرج كان يحفظ فيه ذلك الكتاب . وهذا الكتاب بحالته تلك ، غير كامل لانه يحتوي اسفار موسى ، يوشع ، راعوث ، وملاخي . وفيه فقرات من ثلاثة كتب اخرى ، وورقة وجدت منذ نصف قرن تقريباً في مكتبة جامعة برسلا وتضم جانباً عن النبي ارميا

ويقال ان هذا الانجيل كتب لاجل الملكية صوفية ، الزوجة الرابعة للملك لادسلوس ياجيللو ، حوالي سنة ١٤٥٥ ، وقد وقف على نشره مؤخراً الاستاذ ( مالتسكي Malecki ) مؤلف قواعد اللغة البولندية القدير . وبذل جهوداً عظيمة في طبع ذلك الكتاب

ومن المحن التي ألت بدولة بولندة القديمة ، فقدانها كثيراً من المخطوطات العظيمة القيمة ، ولم يكن حظ بولندة الحديثة — وهي جمهورية بأحسن من حظها وهي مملكة ، فقد أحرقت مكتباتها ونهبت تحفها ودمرت مدينتها وآثارها واندرث الكثير من معالم مدينتها القديمة . ومن هذه الآثار القيمة ما حققه الاستاذ نهرنج من علماء القرن التاسع عشر . فقد ذكر انه وجدت في القرن الثامن عشر في مكتبة تشنشتوخوف طبعة جميلة لطيفة من الكتاب في سبعة مجلدات متتابعة باللغة البولندية Czestochow واستدل على ذلك ببعض رسائل ليانتشكي Janocki فقد وجدت دار للطبع في مدينة كراكوف الشهيرة وذلك سنة ١٤٧٤ تقريباً ، ولكن أول كتاب في اللغة البولندية طبع في سنة ١٥٢١ في مطبعة ايرونيمس وكان عنوان ذلك الكتاب « أحاديث الملك الحكيم سليمان » . وانتشرت بعد ذلك تأليف أخرى وقد كشفت في اواخر القرن التاسع عشر آثار قديمة من اللغة البولندية ، وكلها ذات فائدة ولذة للباحث في منشأ هذه اللغة النبيلة والتي كادت تهمل وتنمحي في الأزمان الغابرة ومن تلك الآثار سيرة القديس ( يوفراكي ) Zywoł S. Eofraksy وقد تولى

نشرها المسيو كراينسكي بوارسو ويرجع تاريخها الى سنة ١٥٢٤

واللغة البولندية من اللغات السلاوية ، فالبولنديون من الفرع الغربي للجنس الصقلي ومع ان الكثيرين من المؤرخين وعلماء اللغات يعدونها من اللغات الجميلة ، فإن نطقها لا يخلو من صعوبة كبيرة للغرباء عنها ولا سيما لنطق أعلامها وأسمائها ، ونعتقد ان هذه الصعوبة هي جماع الصعوبات في اللغات الرومية والألمانية والبوهيمية واللوانية التي تأثرت بها تلك اللغة القديمة ، واللغة اللاتينية التي تركت فيها عديداً من الكلمات والاصطلاحات وما زالت



يستعمل فيها... كما خالطتها كلمات المانية كثيرة. أضف الى ذلك غرابة لفظها نفسها، فهم يستعملون مثلاً حرف a تحته نبرة فينطق عندهم كما عند الفرنسيين في كلمة Bon، وحرفي cz معاً ينطقان تبش، وحرف j ي، وحرف ò فوقه نبرة يستعمل واو الضم الثقيلة كما عندنا، وحرفي RZ معاً كما عند الفرنسيين في كلمة Jour وحرفي SZ معاً ش، وحرف W ف وحروف SZCZ مجتمعة معاً تنطق شتش، وحرف E وتحته نبرة ينطق (إن)، وغيرها وغيرها. ولعل شاعرهم كازيمير بروذ ينسكي عنى هذه الصعوبة في اللغة البولندية اذ يقول مفتخراً بها - « ليقسم كل بولندي كبرياء اذ يسمع أحد سكان ضفاف نهر التيسر أو نهر السين، يسمي اللغة البولندية لغة جافة ثقيلة. ويسمع وهو راضٍ مغتبط، في وقار الحكم العدل، أجنبيًا وهو يحاول في مرارة ان ينطق الكلمات البولندية العسيرة - كما يحاول مرهف رخو الاعصاب خائرها ان يرفع درعاً رومانية قديمة - او وهو يجتهد في لغو ان يقوم لغة الرجال ولكن بلهجة الاطفال اللائغة الضعيفة

« ولطالما كانت الشجاعة من مميزات جنسنا ولم نفقدها، ولطالما بقيت اخلاقنا وآدابنا على كالمها فلنفتخر بهذه الخشونة بل هذه الرجولة، في لغتنا

« ان لها توافقها، وانسجامها، وسحرها، وموسيقاها التي تشبه همهمة شجرة سنديان عتيقة عمرها ثلاثمائة سنة، لا صفير انبوبة واهية ضعيفة تميل مع الريح في أي اتجاه) على ان التجاء الأدباء البولنديين الى الكتابة باللغة اللاتينية في عصورهم الأولى لم تنشأ عن هذه الصعوبة، فالأوروبيون يعدون لغتنا العربية - مثلاً - لغة صعبة جداً بل عسيرة على افهامهم، ولكننا لا نتركها لنكتب بغيرها من اللغات في عصرنا الحاضر، فكل شعب يستسهل لغته مهما صعبت، كأهل الصين مثلاً. ولكنها كانت عادة كل الكتاب والشعراء في تلك العصور القديمة، في أوربة عامة، وهؤلاء هم كتّاب الانجليز وشعراؤهم في تلك الأجيال، وغيرهم من الشعوب الأخرى لا يكتبون الا باللغة اللاتينية، وقد ظل الانجليز يستعملونها حتى العصور المتوسطة، لأنها كانت اللغة الدولية تقريباً، وكانت جميع شعوب أوربة تتعاملها لأنها أم لغاتهم جميعاً... وبخاصة في الكنائس والديورة، وبين رجال الدين هنالك نشأت الطوائف الأولى من الكتاب والشعراء والمؤرخين...

ولم تنتعش اللغة البولندية القومية الا في نهاية القرن الخامس عشر، فقد ظهرت في بولندا فئة من الكتاب والشعراء والمؤرخين استعملوا لغتهم البولندية القومية، غير ان هذه النزعة لم تلبث ان ضعفت بظهور فئة أخرى من الأدباء والمؤرخين عادوا الى الكتابة



باللاتينية ، فكانت هذه النكسة من المساوىء الاجتماعية في اواخر القرن السادس عشر ، وان كان هذا لم ينتقص من الثروة الأدبية والفكرية التي عادت على الأدب البولندي منها . ولم يمنع هذا ظهور كتّاب مبرزين استعملوا البولندية في كتاباتهم بأسلوب رفيع ، حتى كان القرن السابع عشر ، ولعله كان أسوأ قرن مرّ على بولنده في العصور الوسطى ، فقد تحالفت عليها القوات الثلاث واقتسمتها ، بعد اضطرابات سياسية وأدبية واجتماعية اكتنف الحياة البولندية كلها . وكان من نتائج تلك الاضطرابات تذبذب ادبائها وشعرائها آنئذ في تراوح الكتابة بين اللغتين البولندية واللاتينية ، فقد كانت اللاتينية حتى ذلك الحين لغة العلية والنبل ، الذين جنوا على بولنده جنابة كبيرة<sup>(١)</sup> ، لا يهتمون بلغة الشعب ، ولا بالأدب الذي يكتب بهذه اللغة اطلاقاً . . . وكان الكتّاب عامة ينحون في كتاباتهم — بأي اللغتين — مناحي البلاغة البيانية والزخرف والبديع . وكان من نتائجها أيضاً ، ومن نتائج نظام التعليم الذي أدخله ( الجزويت ) في بولنده ، أن انحط لغتهم القومية مرة أخرى واختلطت باللغة اللاتينية وداخلتها كلمات كثيرة غريبة شوّهتها وما زال تشوّهها الى الايام الحاضرة . فتأثر الأدب البولندي بل الحياة البولندية كلها بالطابع الفرنسي في القرن الثامن عشر لكثرة اختلاط البولنديين بالفرنسيين ، فأخذت اللاتينية تضحل في بولنده قليلاً قليلاً ، كما اضمحلت في غيرها من الامم ، الى أن أمست لا تستعمل إلا في بعض المناقشات الخاصة بين الافراد ، كلغة غريبة ، وأقبل الادباء والشعراء على الكتابة بلغتهم القومية ، ولم يشذ إلا القليلون عن ذلك في كتابة قصيدة أو مقالة باللاتينية ، كما فعل شاعرهم الأكبر متسكيتش ، في قصيدته التي وجهها الى نابليون ، ولكن غرضه كان أن يقرأها الامبراطور بلغة يدرکها ، لأن القصيدة كانت تملقاً وطلباً لانصاف بولنده المغلوبة ، ولم تكن من أعمال الشاعر الجيدة

وهكذا عاد البولنديون الى استعمال لغتهم ، وان حاول الالمان جهدهم في أن يغيروا لغة القسم الذي كانوا يحتلونه منها في القرن الثامن عشر خاصة ، فأفلحوا بعض الشيء من طريق العنف في صبغه بصبغتهم ، كما سنبين ذلك في فصل آخر . ولكن البولنديين عامة التزموا لغتهم القومية منذ ذلك الحين . وظهر كتّاب وشعراء عديدون يكتبون بالبولندية ، وان كان معظمهم مجهولاً حتى في أوردة نفسها ، ففهم من يضارع أبناء عمومته الروس ولعلنا نتناول بعض هؤلاء الادباء والشعراء في مقالات أخرى



# الدين والفلسفة

## الخصومة بينهما في المشرق

لمحمد يوسف موسى

« تكلمنا في الكلمة الاولى على الدين والفلسفة :معناها ، نشأتها ، العلاقة الطبيعية بينهما ، والعوامل الذاتية التي جعلت كلا منهما في طرف ، كلاهما للآخر عدو . واليوم نتحدث عن مظاهر الخصومة بينهما في المشرق الاسلامي »

لما انسابت الفلسفة اليونانية بين المسلمين تلقاها جماعات منهم بعقول ظمأ للمعرفة وأوجس خيفة منها آخرون يظنون أنها تحمل الكثير من الشر والاحاد وتناهض الدين في بعض ما جاء به من مبادئ وعقائد ، ولهذا تلقاها هؤلاء — منذ اللحظة الاولى — بصدور مطوية على سوء الظن بها وبالقائمين عليها والمروجين لها

هذا هو تاج الدين السبكي يذكر عن المأمون أنه انساق للقول بخلق القرآن وناهيك بذلك بدعة في الدين وثلمة في صرحه ، بسبب القليل الذي كان يعرف من علوم الاوائل (١) كما يذكر ياقوت عن علي بن عبيدة الريحاني أنه كان له اختصاص بالمأمون ويسلك في تأليفه طريق الحكمة ، كما كان يُرمى بالزندقة . (٢) ويظهر ان التهمة بالزندقة والاحاد كانت تسير جنباً الى جنب مع العناية بالفلسفة أو مجرد الاشتغال بها ، ومن ذلك ترى أن ياقوتاً نفسه يذكر في موضع آخر ان أبا زيد أحمد بن سهل البلخي ، المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ، كان يتأثر فيما يؤلف طريقة الفلاسفة ، ولهذا رمي بالاحاد (٣)

وكان المترمّتون — الذين لا يخلو منهم عصر — لا يعادون الطبيعيات والالهيات وحدها من العلوم الفلسفية ، بل تراهم أيضاً ينظرون النظر الشذر لعلم الحساب وعلم المنطق ، مع شديد الحاجة لهذين العلمين ، لا لشيء الا لانهما من علوم الاوائل ، حتى كان من أمثالهم : « من تمنطق فقد ترندق » ! وكان حزمًا من حجة الاسلام الغزالي أن يلوم اللوم الشديد ، في تهافته وفي المنقذ من الضلال (٤) هؤلاء الجهلاء الذين يضرون الدين بموقفهم هذا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ! إذ من عرف وثاقة براهين الفلاسفة ، في هذين العلمين وسائر العلوم الرياضية لم يشك في شيء منها ، لكن يعتقد ان الاسلام مبني على الجبل

(١) طبقات الشافعية الكبرى ١ : ٢١٨ (٢) معجم الادباء ١٤ : ٥١

(٣) معجم الادباء ٣ : ٦٤ وما بعدها (٤) الاول ص ١٠ وما بعدها ، والثاني ص ٩٠ وما بعدها



وإنكار البرهان القاطع فيزداد للفلسفة حباً وللإسلام بغضاً» (١) !

وإذا تجاوزنا عصر الغزالي نجد أحد الخلفاء العباسيين ، وهو المستنجد بالله ، يأمر — كما يروي ابن الأثير — بكتب أحد القضاة فيحرق ما كان منها في علوم الفلاسفة ، فكان مما صار طعاماً للنار كتاب الشفاء لابن سينا ودائرة معارف إخوان الصفا (٢) . كما نجد ابن الجوزي المتوفى عام ٥٩٧ هـ يحكم على فلاسفة المسلمين ، الذين تأثروا بفلاسفة الاغريق فيما ذهبوا اليه ، بأنهم خلعوا ربقة الاسلام ، وبأن اليهود صاروا أعز منهم لتسكهم بشرائع سماوية لها معجزاتها بينما هم لامستند لما كفروا به إلا زعمهم أن فلاسفة اليونان حكماء (٣)

وبعد هذا نشير الى حادث عبد السلام البغدادي المعروف بالركن الذي كان كل ذنبه أن استعمل فضل ما رزقه الله من عقل فيما أمر به من النظر في ملكوت السموات والأرض ، فاتهم بالفلسف وصُدر الأمر باحراق كتبه ، فتمّ هذا الجرم الشنيع في حفل حافل وتولى كبره عبد الله التيمي البكري فجعل يتناول كتبه كتاباً وكتاباً ويبالغ في ذمه وذم مؤلفه ثم يلقيه في النار ، ولما وصل الى كتاب الهيئته للحسن بن الهيثم قال وهو يشير الى الدائرة التي مثل بها الفلك : « وهذه الداهية والدهياء والنازلة السماء والمصيبة العمياء » ثم خرقتها وأطعمها النار (٤) . على أن « الركن » تغير حظه بعد هذا فأخلي سبيله وأعيد الى مناصبه واستمر كذلك حتى مات عام ٦١١ هـ ثم كان بعد ذلك محنة سيف الدين أبي الحسن علي الآمدي ، أوجد الفضلاء وسيد العلماء وأكثرهم معرفة بالعلوم الحكيمة والمذاهب الشرعية كما يقول ابن أبي أصيبعة (٥) . لكن الحسد — وهو داء العلماء — كان له بالرصاد ، فاتهم من الفقهاء بفساد العقيدة والذهاب مذاهب الفلاسفة ، وكتبوا بذلك محضراً استباحوا فيه دمه ، وعلم الآمدي ما يبيتون له ففرّ هارباً من مصر الى الشام حيث أقام بدمشق مدرساً فترة من الزمن ، ثم عُزل لمثل ما قُرف به في مصر وظلّ متعطلاً حتى توفي عام ٦٣١ هـ

وإذا وصل الباحث الى القرن السابع الهجري لا يسهه أن يغفل في هذه الناحية فتوى الامام المحدث والاصولي الفقيه أبي عمر تقي الدين الشهرزوري المعروف بابن الصلاح المتوفى عام ٦٤٣ هـ ، تلك الفتوى الخاصة بتحريم المنطق والفلسفة تعلماً وتعليماً ووجوب أخذ المشتغلين بشيء من هذا بشديد العقاب ليكونوا السواهم عظة وعبرة ، والتي كان لها أثر بالغ استمر حتى هذه الأيام !

سُئل فيمن يشتغل بمؤلفات ابن سينا فأجاب غفر الله له : « من فعل ذلك فقد غدر بدينه وتعرض للفتنة العظمى » ، لأن ابن سينا « لم يكن من العلماء بل كان شيطاناً من

(١) المنقذ ص ٩٠ (٢) تاريخ ابن الأثير ج ١١ : ١٠٤ (٣) تلبس ابليس ص ٤٩

(٤) أخبار الحكماء للقفطي ص ١٥٤ (٥) طبقات الاطباء ٢ : ١٧٤



شياطين الانس» (١) وسئل ما حكم الله فيمن يشتغل بالمنطق والفلسفة تعلماً وتعلماً ، وهل يجوز استعمال المنطق في اثبات الاحكام الشرعية ، فكان من اجابته : « ان الفلسفة أس السفة والانحلال ، ومادة الحيرة والضلال ، ومشار الزيف والزندقة ، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة ، ومن تلبس بها تعليمًا وتعلماً قارنه الحرمان والخذلان واستحوذ عليه الشيطان ! وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة ، ومدخل الشر شر (٢) ، وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباحه الشارع » (٣)

وفي القرن الثامن نرى الذهبي يقرر أن الفلسفة الالهية ما ينظر فيها من يرجى فلاحه ، ولا يركن الى اعتقادها من يلوح نجاحها (?) فان هذا العلم في شق وما جاءت به الرسل في شق ، وما دواء هذه العلوم وعلمائها والقائمين بها علماء وعملاً إلا التحريق والاعدام من الوجود ، إذ الدين كان كاملاً حتى عرّبت هذه الكتب ونظر فيها المسلمون فلو أعدمتم لكان فتحاً مبيناً (٤) ولقد كان من آثار فتوى ابن الصلاح ما ذكره جلال الدين السيوطي في مقدمة كتابه « طبقات المفسرين » ، إذ يقول في ترجمته لنفسه : « وقد كنت في مبادئ الطلب قرأت شيئاً في علم المنطق ، ثم ألقى الله كراهته في قلبي ، وسمعت ان ابن الصلاح أفنى بتحريمه فتركته لذلك ، فعوضني الله عنه علم الحديث وهو أشرف العلوم » (٥)

هذا ، ونختم الحديث عن رأي رجال الدين والعلماء عن الفلسفة والفلاسفة في المشرق ببيان آراء ثلاثة من المؤرخين الاثبات ، وهم : ابن خلدون ، والمقرئزي ، وطاش كبري زاده أما ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ فيرى في مقدمته « أن الفلسفة مخالفة للشريعة ، فليكن الناظر فيها متحذراً من معاطبها » (٦) . وأما تقي الدين المقرئزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ فقد ذكر انه قد « انجبر على الاسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والحنة في الدين ، وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع وزادتهم كفراً الى كفرهم » (٧) ثم جاء بعد هذين طاش كبري زاده المتوفى سنة ٩٦٢ هـ فحذر من أن نطلق اسم العلم على « الحكمة الموهبة التي اخترعها الفارابي وابن سينا . ووصف حكماء الاسلام بأنهم طائفة « عكفوا على دراسات ترهات أهل الضلال وسموها الحكمة ، وربما استعملوا من عرى عنها ، وهم أعداء الله وأعداء أنبيائه ورسله ، فالحذر الحذر منهم . والاشتغال بحكمتهم حرام في شريعتنا ، وهم أضر على عوام المسلمين من اليهود والنصارى لأنهم يتسترون بزي أهل الاسلام » (٨) على انه بعد هذا أباح النظر في علوم الفلاسفة لمن تثبت من الشريعة ، وكانت غايته من النظر فيها الرد على ما يخالف الدين منها ، وبشرط ألا يمزج كلام الفلاسفة بكلام علماء الاسلام.

(١) فتاوى ابن الصلاح ص ٣٤ (٢) يلاحظ انه استعمل المنطق في الاستدلال على تحريره دون ان يدري ! (٣) الفتاوى ص ٣٥ (٤) الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي ٢ : ٤٣ ص ٤٣ (٥) التراث اليوناني ص ١٦٥ (٦) المقدمة ص ٤٣٢ (٧) الخطوط ٤ : ١٨٣ — ١٨٤ (٨) مفتاح السعادة ص ٢٦



## (١) أحلام جول قرن

تتحقق

ان كثيراً من الناس تسبوا ذروة الشهرة بما عملت أيديهم ، ولكن جول قرن حل في الأذهان محلاً سامياً من أثر ما تخيل . وان قليلاً مما كتب صدر عن وحي الحواس : اللمس والبصر ولكن أحلامه التي تحققت كانت سدى حياته ولحمتها . ولقد ظل طول حياته في حلم رسم كلماته على قرطاس ، وعاش عمره قابلاً في ناحية من وطنه — فرنسة — غير انه طاف على متن خياله من قطب الى قطب ، واندفع به الى قاع البحر ، وسما به الى آفاق السموات العلى

ولما ولد جون قرن كان العلم يتخبط في عهد السحر ، وحين أصبح كاتباً ناشئاً في باريس كان العلم لا يزال بين جدران العمل لا يظفر الباحث فيه بشيء سوى التعرض لسخريه رفاقه وجيرانه المرتابين . ولكن تأليفه أسدت الى العلم خدمة جليلة لانها قرأت العلوم من أذهان الناس فغدا قرائه — برغمهم — مكتشفين وكيميائيين وفلكيين وطيارين

وذاات يوم — بعد عشر سنوات من موت جول قرن — جلس الجنرال لويس هيبيرت ليوتي — وكان حينئذٍ مارشال فرنسة — ينشئ خطراً حربية للمستقبل ويعرضها على أحد رجال الحكم خدق الموظف في هذه الخطط ثم ابتمم وهو يقول « ان هذا ، ياسيدي الجنرال ، هو صدى صوت جول قرن » فأشار الجنرال موافقاً ثم قال « نعم ، انها تشبه حديث جول قرن ، ولكن الامم التي سلكت سبيل الرقي — في مدى عشرين سنة — لم تفعل شيئاً سوى أن ترسم خطاه » . واذا كان نشاط جول قرن الكنايى وانتاجه العقلي قد امتدأ خمساً وأربعين سنة ، فلقد ظلت آثار خواتمه تصلصل في الأذهان مدى قرن من الزمان، تدفع العقول بسجرها الى الشهرة والسمو والاختراع

ولشد ما يندهش العقل ان هو تصفح الآل نبوءاته ، لأنه يعجب أشد العجب لعبقرية البعض ، ثم هو يبسم ساخراً لما في القليل منها من سداجة ، ولا عجب أن يكون فكر قرن قد صدق وان أخطأ أحياناً في وصف طريقة العمل . فقد قال ان الناس ميسمون



طرقاً في السماء ولقد تحقق ذلك وقد كشف عن مصدر جديد للطاقة هو أورانيوم ٢٣٥ (١) هذا وفريق من العلماء يفكر تفكيراً جدياً في الانتقال بين السيارات والناس يخلقون في الأجواء العليا ويغوصون في أعماق البحار . ولقد كانت الأركان الخمسة التي اعتمد عليها قرن هي علوم الفيزياء والكيمياء والجغرافيا والفلك والجيولوجيا ، ومنها توقع أن يبرز فجر التقدم فتستحيل كثير من المواد شيئاً هو « وسائل الترف الحديثة »

وحين كتب جول كتابه « عشرون ألف فرسخ تحت البحر » لم يكن يحول بخاطره ان كلماته ستدفع رائداً الى أن يسلك طريقه في أعماق المحيط . فلقد طبع هذا الكتاب في سنة ١٨٧٠ ، ثم بعد هذا التاريخ بست سنوات كان على الشاطئ الآخر من المحيط الاطلسي ، في مدينة نيوجيرسي الاميركية ، صبي في العاشرة ينكب على قصة رحلة الكابتن نيمو يقرأها فيقرأها . وجذبت الفكرة الصبي فاذهلته فراح يتصيد كل كتاب يتحدث عن الرحلات في قاع المحيط . وحين بلغ هذا الصبي الثانية والثلاثين ، اندفع سيمون لايك الى متاهات البحر يقطع فيافيها في غواصته « أرجونوت » وهي أول غواصة نجحت في خوض عباب اليم . وأدنى سيمون لايك ما عليه من دين حين كتب أول سطر في تاريخ حياته « لقد كان جول ثرن — الى حد ما — قائدي الاعلى الذي رسم نهج حياتي »

وحين ترمى خبر رحلة الأرجونوت الى فرانسة في سنة ١٨٩٨ أبرق جول ثرن بالتهنئة ولكن لايك قال لقد طبعت القصة في فرنسا وأبرق جول ثرن يهنئي على حين أن كتبه هي التي دفعتني الى الغوص في طبقات الماء ، وكنت دائماً أقول ان جون ثرن عالم قبل أن يكون قصصياً يكتب القصة الخيالية ، لأن خياله تفادى يحترق الحجب ، وهذا النوع من الخيال لا غنى لمخترع عنه ، اذا اقترن بمعلومات دقيقة ممتازة

وكانت تجربة سيمون لايك فذة في نوعها ، ولكن قراء القرن التاسع عشر كانوا يعجبون من الأخيالة التي ربطت بين الهليكوبتر ، والآلة الطائرة « البتروس » والمنطاد المتحرك في كتاب ثرن « مركب السحاب » . وفي سنة ١٩٠٣ ، أي بعد انقضاء سبع عشرة سنة على هذه القصة استطاع اورفيل وولبر ريط ان يطيرا تسعاً وخمسين دقيقة فوق رمال كيتي هوك في كارولينة الشمالية بأميركة ، واجتازت المناطيد المحيط الاطلسي في العقد الرابع من هذا القرن . وفي سنة ١٩٤١ ضرب ايجور سيكورسكي رقماً قياسياً عالمياً اذ طار مدة ساعتين بالهليكوبتر الذي صنعه

والآن أصبحت الانباء التي تثير الاعجاب في عالم الطيران هي أنباء صنع الطائرات —



ناقلات الرسائل والجنود وطائرات التدريب والقاذفات — من بعض العجائن والخشب . على حين ان ثرن أوصى ان تصنع طائرته « ألبتروس » من ورق مضغوط لا تستطيع أقسى الآلات الحادة ان تحدشه ، وذلك برغم قلة معارفه العلمية . على أنه من الخطأ ان يقال ان ثرن ساهم بقسط في مخترعات الطيران ، لأنه لم يكن مخترعاً بل كاتباً أراد أن يبسط فكرة تحققت بعد زمان فهو لم يفعل

ولاديب في أن هناك هوة عميقة بين « البتروس » ثرن وطائرة لندبرج حين بلغت باريس . ولكن الفرنسيين يأبون ان يسلكوا اسم ثرن في قصة تاريخ الطيران وهي طويلة متشعبة . ولم يكن ثرن نفسه يزعم لنفسه فضلاً في تنبؤاته وهو كان يقول دائماً عن رحلاته انني لا أدعي العلم فخل همي موجه نحو الجغرافية » غير ان أخيلته أصبحت « برغمه » حقائق ملموسة ، ففي رحلة « من الأرض الى القمر » وصف ثرن المنظار العظيم الذي انشأه ليلتبع القذيفة وهي تحمل الرجل عبر طبقات السماء ، وصفه في دقة وفي اسباب فلقد كان منظاره عظيماً يحتوي على مرآة قطرها ١٦ قدماً تستطيع ان تكبر أصغر نقطة على السماء بمقدار ٤٨٠٠٠ مرة . ولقد أقام منظاره على قمة ساهقة من الجبال الصخرية ليتفادى اضطراب طبقات الهواء السفلية

هكذا كتب ثرن منذ ٨٠ سنة على أثر الحرب الأهلية الأميركية . واليوم يسير العمل في كلفورنية لانهجاز منظار فلكي فيه كل ما قال ثرن . فرائته العاكسة قطرها ١٦ قدماً ، وهي أكبر مرآة في العالم ، ثم هو يبني على قمة جبل بالومار لسكي ينأى عن الاضطرابات الهوائية التي حاول ثرن ان يجتنبها وحين يتم اعداده تكون قوة تكبيره هي نفس القوة التي في المنظار الذي تخيله ثرن . وكان أثر ثرن — في كثير من الأحيان — غير مباشر ، فلقد كتب مركوني في رسالة نشرت في سنة ١٩٢٢ « لقد أثر جول ثرن في الناس جعلهم يرون الرؤى ، ثم غرس فيهم الرغبة في ان يفعلوا شيئاً ، ثم استمالهم ليفعلوا »

وأيقظت رؤى ثرن أطياع الكثير ، فان أسماء بيرد وبيب وكاستريت كلها ترتبط بوشائج متينة برؤى ثرن . فما يروى ان الاميرال ريتشارد بيرد قال حين طار صوب القطب : ان جول ثرن هو الذي يرشدني . وحين هبط وليام بيب الى أعماق المحيط في كرتة المعروفة « بكرة الأعماق » <sup>(١)</sup> كان جول ثرن في كتابه « عشرون الف فرسخ تحت البحر » هو الذي حرك رغبته في رؤية الأسرار التي استقرت تحت أطباق الموج . وحين أخذ نوربرت كاستريت يكشف عن شبكة الانهار الجارية تحت الأرض في اوردبة كان يستحبه مطر من كتابه المفضل « رحلة الى مركز الأرض » الذي كتبه جول ثرن

(١) بايسنجر راجع مقتطف يوليو ١٩٣١ صفحة ٣٣ « الفصوص الى الأعماق »



وقد انقضى أكثر من ربع قرن وجرائد العالم تنشر قصصاً عن نتائج جديدة لأحلام ثرن فالسيارات، ورحلة السير هيرت ولسكز بالغواصة تحت جليد المناطق المتجمدة<sup>(١)</sup>، وشروع العالم الفرنسي كلود<sup>(٢)</sup> عن استخراج طاقة حرارية من البحر، والتصوير الفوتوغرافي بالألوان، والشهاب المنطلق الى القمر، والتلفزة، والقطار السريع المندفع بضغط الهواء... كل هذه أحلام تحققت

والآن تسيطر على أذهان العلماء الأبحاث الخاصة بالذرة، ولكن ثرن في كتابه «مطاردة الشهاب» الذي طبع في سنة ١٩٠٨ بعد وفاة المؤلف أشار غير مرة الى طاقة الذرة وامكان تحويل العناصر بعضها الى بعض

ولقد كان جول ثرن يبعث في حياته شيئين: الحرب والأمبراطورية الالمانية. وفي كثير من كتاباته تترأى كراهيته للامان. وفي كتابه «حظ بيجم» يبدو احتقاره لكل ما هو تيوتوني من خلال أسلوبه التهمكي، وان نبوءتين في كتابه «حظ بيجم» تتحققتا وهما: المدافع ذات المدى الطويل، والمدنية الحديثة. وحين كتب جول عن مدفعه الضخم كان يبدو كلامه وهمكاً. ولو ان عمره امتد ثلاث عشرة سنة لكان رأى بعينه خياله وهو يتحقق في المدفع الالمانى «برتا الكبير» الذي انطلقت قذائفه سنة ١٩١٨ مسافة ٧٦ ميلاً وسقطت على باريس وان كثيراً من الناس ليقولون ان معلومات جول ثرن في العلوم كانت ضحلة. وهذا صحيح الى حد ما. ولكنه كان طالب علم متحمساً في الطلب. وقد راجع قبل كتابة بعض رواياته خمسمائة كتاب ورسالة. وكانت خزائنه تحوي مجموعة نفيسة من كتب الجغرافية والرحلات. ولقد جمعت مذكراته على مدى السنين فكانت حوالى ٢٥٠٠٠ ملف حسنة الترتيب دقيقة السارد

ولقد كان أرمستيد بريان السياسي الفرنسي طالباً في الرابعة عشرة حين لقي جول ثرن أول مرة. وحين أراد أن يعلي تاريخ حياته وهو رئيس حكومة فرنسا، أخذ يشرح ما كان بينه وبين جول ثرن فقال اني أذكر تماماً داره وكان يغلب عليها جو ريفي عادي.. وهناك وضعت قصص الرحلات العجيبة والمخاطرات المجيدة.. وأذكر انه وضع على الجدران عدداً من السبورات كتب عليها رموزاً عديدة هي أعداد ومعادلات جبرية، لا ريب في انها كانت الاسس التي بنى عليها أخيلته، وفي الحق لقد كان يعمل على قواعد ثابتة من العلم والرياضة، وكانت حساباته مضبوطة. تلك الأعداد والمعادلات التي كانت متناثرة على سبورات كثيرة أصبحت جميعاً — على الايام — حقيقة ملموسة

(١) مقتطف نوفمبر ١٩٣٠ صفحة ٣٨٨ (٢) أنظر مقتطف هذا الشهر فصل الطاقة المحركة من البحر



# فلاسفة الرواق

للدكتور عثمان أمين

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

## كليانتمس

١ — \* حياته \* : ولد كليانتمس سنة ٣٣١ ق م في مدينة « اسوس » وكان قبل اشتغاله بالفلسفة مصارعاً . ويقال انه حينما قدم الى أثينا لم يكن يملك من المال إلا أربع دراهمات . ولكن شدة الفقر لم تكن لتصرف ذلك المصارع عن طلب المعرفة والانكباب على الفلسفة . كتب « أوجرو » عنه : « اتفقت جميع الروايات على ان « كليانتمس » امتاز بصفات الهمة العالية والارادة التي لا تقهر والثبات والمناورة التي لا تسكل . فلم يحل بطء عقله ولا شدة فقره دون متابعتة الدرس وتحصيله العلم <sup>(١)</sup> . ولما بدا « لكليانتمس » ان يحضر دروس « زينون » لم يكن يملك من المال شيئاً ، فاضطر أن يقضي ساعات الليل في أشق الأعمال لكي يكسب ما يدفع به رسوم التعليم : يروى عنه انه كان يحمل الماء لسقاية بعض الحدائق وكان يعجن الخبز عند إحدى الخبازات . وسواء أصبحت تلك الرواية أم لم تصح فهي تدل على مقدار حبه للفلسفة . ولقد أعجب « زينون » بفضائل « كليانتمس » وجده في العمل ، فعهد اليه عند وفاته بأن يخلفه في ادارة المدرسة الرواقية . وبقي « كليانتمس » مشرفاً على شؤون المدرسة مدة طويلة تمتد من سنة ٢٦٤ حتى سنة ٢٣٢ قبل الميلاد

لكن نفوذ الرواقية أخذ يضعف في عهده . واشتدت على المذهب هجمات الابقوريين وأنصار الاكاديمية الجديدة . على ان « كليانتمس » لم يكن له من اللباقة والمهارة في الجدل ما يمكنه من افحام الخصوم ، بل يظهر ان تفكيره كان بطيئاً وحجته غير بارعة مما جر عليه سخرية المتشككين . وكانوا يطلقون عليه اسم « الحمار » . ولكنه لم يكن يغضب لذلك

Ogereau, Essai sur le système philosophique des Stoiciens, (١)

Paris, 1885, p. 18



المزاح الثقيل ، بل كان يرد قائلاً أنه وحده أقدر على حمل بردعة « زينون »<sup>(١)</sup>  
 ٢ — « تعليمه ومصنفاته » : تعوزنا المصادر لمعرفة نوع التعليم الذي كان يقوم به  
 « كلياتس » . يقول « أوجرو » : « يميل الانسان الى الظن بأن كلياتس أنفق قصارى  
 جهده في ربط أجزاء المذهب بعضها ببعض وفي ترتيبها وتنسيقها في وحدة لا تنقسم  
 عراها »<sup>(٢)</sup>

ألف كلياتس نحو خمسين كتاباً : كتب شروحات على طبيعيات « زينون »  
 « هرقليطس » ومصنفات عديدة في المنطق والاخلاق . ومن مؤلفاته التي ذكرها « ديوجانس  
 اللايرسي » ما يلي :

رسالة « في المعرفة » رسالة « في الجدل » رسالة « في المنطق » رسالة « في الزمان »  
 رسالة « في الرد على ارسطارخوس » رسالة « في الآلهة » رسالة « في الحرية » رسالة  
 « في الواجب » رسالة « في الفضائل » رسالة « في القوانين » رسالة « في الغاية »  
 رسالة « في السلوك »<sup>(٣)</sup>

ولم يبق من مصنفات « كلياتس » إلا مقتطفات صغيرة . ومن أهمها قصيدة رائعة  
 وهي « الانشودة الى زيوس » التي ألفها مناجياً الاله « زيوس » رب اليونان . ولم يبق  
 من تلك القصيدة غير أربعين بيتاً جاء فيها :

« يا زيوس يا أجل الخالدين ويا من يذكره الناس بشتى الاسماء والصفات  
 « يا مدبر الوجود كله ويا حاكم الأشياء جميعاً وفقاً لنا موسك وسنتك  
 « سلام عليك »

« خليك ببني البشر الفانين أن يولوا وجوههم نحوك منادين  
 « فبين الخلائق التي تعيش وتسعى على الارض إياهم وحدهم وهبت صورة منك  
 وجعلتهم على مثالك »

« وهذا العالم الذي يتحرك حول الارض حركة دائرية إنما يخضع لكامتك ويُدعن ،  
 بارادته ، لسلطانك . وجميع صنع الطبيعة يحدث كوميض البرق  
 « وبهذه السرعة توجه أنت « العقل الكلي » الذي ينساب في ثنايا الكون متمزجاً  
 بصغير الأشياء وكبيرها »

Diogène Laerce, Vie des Philosophes, VII, 170 (١)

Diogène Laerce, VII, 174-175. (٣) Ogereau, Essai..., p. 19 (٢)



« من دونك لا شيء يحدث في الارض ولا في البحر ولا في السماء  
 « ما عدا أفعال الاشرار ، وسببها جهلهم وقلة ادراكهم  
 « أنت لا يعزب عن علمك شيء : تؤلف ما افترق وتنظم ما تناثر وتكيف الخيرات  
 على قدر الشرور ، وتعطي كل شيء بحسب  
 « وإنما العالم عقل واحد شامل خالد . فما أشقى الاشرار إذ تراهم عنه معرضين مدبرين .  
 انهم يرغبون في الخير دائماً . ولكنهم لا يعرفون سنة الله التي لو اتبعوها لأصابوا في الحياة  
 حكمة وشرفاً» (١)

\*\*\*

ولقد عمد الفيلسوف في أنشودته هذه الى تقاليد الشعر الوجداني على نحو ما كان  
 معهوداً عند الفلاسفة السابقين لعصر سقراط . وفي هذه القصيدة لخص كلياينتس أهم  
 مبادئ الطبيعة والاخلاق في الفلسفة الرواقية . يقول « الفرد كروازيه » في  
 وصف الانشودة :

« قطعة جميلة ولكن جالها أخلاقي وعلمي . وفي هذه الابيات لخص كلياينتس — في دقة  
 وقوة وبنغمة دينية نبيلة — الطبيعيات والاخلاقيات في المذهب الرواق . وقارض هذا  
 الشعر صانع ماهر ذو اقتناع بما يقول قبل أن يكون شاعراً كبيراً  
 (وفي هذه الانشودة ) نجد فن الميثولوجيا التقليدية موضوعاً ، كعادة الرواقين ، في  
 خدمة النظريات الجديدة . وفيها امتزجت اصطلاحات المدرسة في مهارة ورشاقة بالأوصاف  
 الهوميرية (٢)

ولعل جمال هذه الانشودة هو الذي دعا ديوجانس اللايرسي الى أن يصف مؤلفات  
 « كلياينتس » بلفظ « كالسنا » للدلالة على حسنها وبهائها . ولعل هذا ما دعا شيشرون الى  
 أن يسمي كلياينتس باسم « الرواقي الاصيل » (٣)

(١) Stobé Eclogae, I, 1, 12, Arnim, Stoic. verter. fragm, I 537

انظر الترجمة الفرنسية للانشودة في كتاب عنوانه :

Aristotle, Cléanthe, Proclus, Hymnes Philosophiques, tr. nouvelle  
 avec avant-propos, prolegomènes et notes par Mario Meunier, 1935.

Alfred Croiset, Histoire de la littérature grecque, t. V, p. 59 (٢)

Cicéron, Academ. II, 41, 126 (٣)



على أن أنشودة « كليانتس » هذه نموذج من النماذج الاولى لطريقة الرواقين في تأويل الأقسام. وهي تشير الى أن الانسان يستطيع بالمناجاة والدعاء أن يتصل بالآلهة وأن يساهم معهم في العالم الالهي

فالأنشودة، كما قال الأستاذ « ريشو » ربما كانت من بين مخلفات الادب اليوناني كله، أقرب الاشياء الى صلاة من الصلوات المسيحية. وتلك ظاهرة تفردت بها الفلسفة الرواقية — وليست بالامر اليسير — وهي أن تلك الفلسفة التي طالما اعتبرها الكتاب مثلاً من أمثلة مذهب وحدة الوجود (البانتيزم) الطبيعي، استطاعت مع ذلك أن توطن بين الآلهة والناس ذلك الاتصال الشخصي الذي يبيح العبادة والصلاة والتقوى الواثقة (١)

لكن هذه النعمة التي تفيض حماسة وتديناً كان لها أحياناً — لسوء الحظ — عواقب وخيمة منافية لروح الفلسفة الصحيحة : فقد روي عن « كليانتس » ما يفيد كثيراً من التعصب للرأي وميلاً الى الترهات والاباطيل. ذلك ان « ارستارخوس » الساموسي — وهو فلكي يوناني وعبقري من أهل القرن الثالث قبل الميلاد — كان أول من تنبه الى أن الارض تدور حول محورها وحول الشمس، فلما أعلن ذلك العالم تلك النظرية قام « كليانتس » متهماً إياه أمام الاثينيين باقلاق راحة الآلهة وبالمروق من الدين لمحاولته « ان يزحج هستيا — موطن الكون — من مكانها ! » (٢)

\*\*\*

ولسنا ندري الى أي حد نجح « كليانتس » في إثارة خواطر العامة على « ارستارخوس » ولكن النظرية « الهليوسنطرية » التي تجعل من الشمس (٣) مركز الكون قد تلقت ضربة وأدتها في مهدها، نتيجة مثل ذلك التعصب الذميم الذي سنرى آثاره بعد ذلك بقرون في موقف الكنيسة من العالم الطلياني « غاليلي »

(١) A. Rivaud, Les grands courants de la pensée antique p 174

ونظم « كليانتس » كذلك قصيدة صغيرة في الاذان للقدر، وبقيت لنا منها أبيات ذكرها « ابكتيتوس » الرواقي في دروسه ( Epictète, Manuel, 53. ) قال كليانتس فيها : « قدني يا زيوس وأنت أيها القدر أينما رسمت لي الطريق ، فأنا متابعتكم دون تخلف ، لاني لواقومت كفت من الآثمين ، ولم أكن مع ذلك أقل متابعة لكم . ولقد ترجم « سنكا » أبيات كليانتس هذه الى اللغة اللاتينية Sénèque

Lettres, 107, 10

Plutarque, fac. lun., 6, 3 (cité par V. Arnold, Roman Stoicism, (٢)

Benn, History of Ancient Philosophy, p. 120-121 (٣) p. 179)



## سر الكهرية

ما هي الكهرية ؟ كان الرأي قبل خمسين سنة ان الكهرية سائل ما او سائلان احدهما موجب والآخر سالب . ولا تزال العامة في الولايات المتحدة تشير اليها بقولها « العصاره » ولكننا نعلم الآن أنه إذا كان المقصود بالكهرية : التيار الكهربى ، فالجواب عن هذا السؤال سهل ، وهو ان التيار الكهربى مجموعة من الشحنات الكهرية المتحركة ، لا اكثر ولا اقل . وهذه الشحنات ، في حالة سلك او جسم آخر صلب ، هي كهيربات حرة . ولولم تكن الذرات الموجبة في الفلزات مثبتة في مكانها لماالت الى الحركة في اتجاه مخالف لاتجاه حركة الكهيربات . وهذه الحركة الذرية تحصل فعلاً حين تمرُّ التيارات الكهرية في الغازات والسوائل . ففي الغازات والسوائل ، لا تكون الذرات والجزيئات المشحونة شحنة موجبة (وهي تصبح مشحونة موجبة بعد انفصال بعض كهيرباتها عنها وتدعى «ايونات» مثبتة في مكانها فتتحرك وتكون حركتها جزءاً من التيار الكهربى . وقد كان الرأي المألوف في اتجاه التيار الكهربى انه يكون الموجب الى السالب ، اي الاتجاه الذي تتحرك فيه الدقائق الموجبة الشحنة . وهذا الرأي أخذ به قبل ان كشف العلماء ان الكهرية السالبة هي التي تتحرك في معظم الاحيان ، ولكننا عند التدقيق نجد الكهرية تعين الشحنات الكهرية لا التيار الكهربى ، نفسها ( الكهيربات والايونات ) التي يتولد التيار الكهربى من تحركها . فاذا اخذنا بهذا التعريف ، فليس في وسع احد حتى الآن ان يقول ما الكهرية . اننا نعلم ان الكهيرب هو شحنة كهرية . ولكن ما هي الشحنة الكهرية ؟ هي شيء يجذب اليه اشياء مشحونة شحنة مغايرة لشحنته ، ويدفع اشياء مشحونة مماثلة لشحنته ، ولها مظاهر أخرى حين تتحرك ولكننا مع ذلك لم نتمكن من تمثيل صورة ذهنية لشكل الكهيرب ولذلك ترى انه في قدرة العلماء ان يقولوا لنا ما يفعله الكهيرب وكيف يتصرف ، مع عجزهم عن ان يقولوا أي شيء هو وحين شرع العلماء في دراسة التيارات الكهرية دراسة كم ، احتاجوا الى ابتكار وحدة للقياس ، فالتخذوا « الامبير » وهو معرف تعريفاً متفقاً عليه بين جميع العلماء والمعاهد في انحاء العالم ، فالمصباح الكهربى من قوة مائة واط - حيث تكون قوة التيار ١١٠ فولط - يحتاج الى مقدار « امبير » واحد تقريباً . والمكوى الكهربى يحتاج الى اربعة « امبيرات »



أو خمسة . وحين تريد أن تحرك محرك سيارتك في صباح بارد يأخذ المحرك من البطارية بضع مئات من « الامبيرات » . فما معنى هذا كله ؟ إذا أردت فهمه على أن التيار الكهربائي ، هو كهيربات متحركة فالجواب هو أن السلك حين يسري فيه تيار كهربائي ، انما يتحرك فيه عدد من الكهيربات فيجتاز كل ثانية نقطة معينة في الدائرة الكهربائية

ولكن لا تتصور أن هذه الكهيربات العديدة تنطلق بسرعة قطار سريع وإذا فرضنا أن كهيرباً حرّاً واحداً يقابل كل ذرة في فلز ما ، فسرعة الكهيربات في سلك مصباح كهربائي يسري فيه تيار قوته امبير واحد ، تبلغ قدماً واحدة للكهرب الواحد في الساعة . وقد تكون السرعة أعظم من ذلك حين يكون عدد الكهيربات قليلاً في سلك دقيق كسلك مصباح كهربائي قوته مائة واط . ولكن حتى في هذا السلك ، حيث تنطلق الكهيربات وهي تشق طريقها بين ذرات الفلز ، فتعثر كلها وتثيرها حتى يحمى السلك ويتوهج ، حتى هنا لا تزيد سرعة الكهيربات على سرعة قدم واحدة في كل عشر ثوانٍ

ولو شئنا أن نبتاع الكهيربات الحرة في سوق ما ، لبلغ ثمنها مبلغاً طائلاً . ولو كانت الكرة الأرضية مصنوعة كلها من الماء ، لكان فيها من قطرات الماء ، ما تجده من الكهيربات في أوقية واحدة من الماء . ومن محاسن الاتفاق أن الكهيربات على جانب عظيم من الكفاية في نقل الطاقة . ففي دورة كهربية تحمل تياراً قوته ١١٠ فولط تستطيع أوقية من الكهيربات ، في سلك مصباح قوته مائة واط ، أن تمضي في عملها قرنين من الزمان ! ولما كانت الكهيربات تسير سيراً بطيئاً ، فلعلك تسأل كيف تبدأ أعداد كبيرة منها في التحرك في وقت واحد ، حالما تفتح مفتاح المصباح الكهربائي في دارك ؟ وتفسير ذلك أن انسياب التيار واحد في جميع النقط في دورة كهربية مغلقة . ولكن ما العامل الذي يعين مقدار التيار الذي يسري في دورة كهربية ما ؟

يبدأ التيار في الانسياب في وقت واحد ، لأن عند مصدر الطاقة يوجد قدر كبير محتشد من الكهيربات . وحيث أن الشحنات الكهربائية التي من نوع واحد تتنافر ، فتتأخرها يدفع بعض الكهيربات في السلك . أي أن التنافر بين الكهيربات — وهي جميعاً سالبة الشحنة — يحملها على أن يدفع بعضها بعضاً فتسري في طريق التيار . وتتحرك موجة التنافر والتدافع هذه على السلك بسرعة تقرب من سرعة الضوء ، أي ١٨٦ ألف ميل في الثانية ، أي أن هذه السرعة تبلغ مبلغاً يبدو عندها أن حركة الكهيربات بدأت في وقت واحد . فمن المتعذر مثلاً أن تبين الفرق بين ظهور أثر هذه الموجة في طرفي سلك طوله ميل ما زالت الموجة قد عبرته من أوله إلى آخره في جزء من ١٨٦ ألف جزء من الثانية ولكن إذا نقص القدر المحتشد من الكهيربات عند مصدر الطاقة بغير أن يكمل النقص ،



اي اذا فرغ الوعاء بغير أن يملأ ثانية ، اندفع التيار لحمة ما ثم ينقطع . وهو ما يحدث حين يلمع البرق . او هي تنطلق شرارة كهربية بين قطبي جرة ليدن . وعلى الضد من ذلك المولد الكهربائي ، او البطارية الكهربية ، فان الطاقة الكهربية تتولد في كل منهما تولداً مستمراً فيجري التيار جرياناً متصلاً . ولعلك تبينت مما تقدم ان مقاومة سلك ما لجريان التيار الكهربائي فيه ، تتفاوت بتفاوت حجم السلك وشكله ، وهو الحقيقة . فالسلك الطويل اشد مقاومة لمرريان الكهريات فيه من السلك القصير . والسلك النخين يحتوي على عدد من الكهريات الحرة ، اوفر من العدد الذي يحتويه السلك الدقيق . فالسلك النخين اقل مقاومة لجريان التيار الكهربائي من السلك الدقيق

على ان المقاومة ترتبط ، من ناحية اخرى ، بطبيعة المادة التي صنع السلك منها . فالمقاومة تكون ضعيفة ، اذا كانت المادة تحوي عدداً وافراً من الكهريات الحرة التي تسهل حركتها . والواقع ان جميع المواد ، توصل الكهربية ، بعض الايصال ، ولكنها طبعا تتفاوت في ذلك تفاوتاً عظيماً . وقد تعودنا أن نعد المطاط والزجاج والخزف والكبريت من المواد العازلة . ولكن حتى المواد العازلة تحوي كهريات قليلة يمكن تحريكها اذا توافرت الشروط اللازمة ، واذن فهي الى حد ما موصلة للكهربية . على ان الفلزات هي خير المواد التي توصل الكهربية حتى ليصح أن يقال ، ان قدرتها على ايصال التيار الكهربائي من الصفات الخاصة التي تميز الفلز . ومع ذلك فبين الفلزات تفاوت كبير في هذه القدرة . ومقاومة الفلز تزداد عادة وفقاً لارتفاع الحرارة

ان النحاس خير موصل للكهربية ، بين الفلزات غير الثمينة ، وهو يستعمل استعمالاً عاماً لايصالها . والفضة والذهب موصلان جيدان . ولكنهما عزيزان . أما الالومنيوم فيفوق النحاس وزناً بوزن في قدرته على ايصال التيار الكهربائي ، ولكنه أغلى منه وهذا يحول دون التوسع في استعماله الآن

وفي نقل الطاقة لا بد من استعمال خير المواد الموصلة للطاقة ، حتى لا يضيع الاقل قدر منها خلال الانتقال في التغلب على مقاومة المادة الموصلة . واذا استعملت أحياناً المواد التي لا توصل التيار الكهربائي إلا ايصلاً ضعيفاً ، فانما يفعل ذلك لأغراض أخرى . فالسلك في المصباح الكهربائي مثلاً يصنع من فلز التنغستن عادة ، وقد اختير هذا الفلز لانه يتصف بصفتين لا بد منهما في المصباح وهما ارتفاع درجة انصهاره ، وبطء تبخره

وقد استعملت أخلط فلزية شتى للادوات الكهربية المختلفة مثل المكوى الكهربائي والأفران وما أشبهها . وهذه الاخلط تحتوي عادة على فلز — أو أكثر — منتصف بصفة خاصة ، مثل النيكل والكروم اللذين لا يصدآن حين يحميان بالتيار الكهربائي في الهواء



# حرف الجيم

- ٢ -

لعبد الله أمين

جاء في « سر الفصاحة » للأثير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٦ هـ المطبوع بمصر سنة ١٣٥٠ هـ (سنة ١٩٣٢ م) ما يأتي :  
« ويلحق هذه الحروف التي ذكرناها حروف بعضها يحسن استعماله في الفصحى من الكلام، وبعضها لا يحسن . فالتى تحسن ستة أحرف وهي : النون الخفيفة التي تخرج من الخيشوم والهجرة الخفيفة وألف الإيمالة وألف النفخيم وهي التي بها ينحى نحو الواو وذلك كقولهم في « الزكاة » الزكوة والصاد التي كالزاي نحو قولهم في « مصدر » مزدور والشين التي كالجيم نحو قولهم في أشدق أجدق والحروف التي لا تستحسن ثمانية وهي الكاف التي بين الجيم والكاف نحو كلمهم عندك والجيم التي كالنكاف نحو قولهم للرجل ركل والجيم التي كالشين نحو قولهم خرشت والطاء التي كالتاء كقولهم طلب والصاد الضعيفة كقولهم في أترد أضرده والصاد التي كالسين في قولهم صدق والطاء التي كالتاء كقولهم ظلم والتاء التي كالباء كقولهم فرند » ص ٢١ و ٢٢  
هامش من الطابع : رسم المؤلف فوق كل حرف ما يشبهه خفياً صغيرة فوق الكاف في كلهم وركل وخرشت وتاء صغيرة كذلك فوق الطاء من طلب وهكذا حتى آخر الأمثلة  
وقال محمد رضي الدين بن الحسن الاسترأبادي المتوفى سنة ٦٨٨ هـ في شرحه على الشافية في الصرف لأبي عمر عثمان المعروف بابن الحاجب ما يأتي :

« قوله : والشين كالجيم : ذكرها سيديويه في الحروف المستحسنة وذكر الجيم التي كالشين في المستهجنة وكلتاها شيء واحد لكنه إنما استحسن الشين المشربة صوت الجيم لأنه إنما يفعل ذلك بها إذا كانت الشين ساكنة قبل الدال والدال مجهورة شديدة والشين مهموسة رخوة تنافي جوهر الدال ولا سيما إذا كانت ساكنة لأن الحركة تخرج الحرف عن جوهره فتشرب الشين صوت الجيم التي هي مجهورة شديدة كالذال لتناسب الصوت فلا جرم استحسن إنما استحسن الجيم التي كالشين لأنها إنما يفعل ذلك بها إذا سكنت وبعدها دال أو تاء نحو اجتمعوا واجدر وليس بين الجيم والدال ولا بينها وبين التاء تباين بل هما شديدتان لكن الطبع ربما يميل لاجتماع الشديدين إلى السلامة واللين فيشرب الجيم ما يقاربه في الخروج وهو الشين



فالفرار من المتنافيين مستحسن والفرار من المثلين مستهجن فصار الواحد مستحسناً في موضع مستهجناً في موضع آخر بحسب موقعه « ج ٣ ص ٢٥٥ و ٢٥٦ مطبعة حجازي ، مصر  
يريد الرضي بقوله « وكتاها شيء واحد » أن النطق بالشين في نحو أشدق مشربة صوت الجيم نحو أجدق أي بين الشين والجيم كالنطق بالجيم في نحو أجدر مشربة صوت الشين نحو أشدر أي بين الجيم والشين في أن اجماع كل من الشين والدا ل ومن الجيم والدا ل وكذا حرفاً ثالثاً لا هو شين خالصة ولا هو جيم خالصة بل هو مزيج منهما معاً في الموضعين  
ويريد بقوله « فالفرار من المتنافيين مستحسن والفرار من المثلين مستهجن » أنك حين تعتمد الى الجيم مع الدا ل في نحو أجدر وهما مثلاً في الشدة متلائمان في الجوار وليس بينهما تباين فتشرب الجيم صوت الشين الرخوة وتخرجها بهذا الاشراب من شدتها الى رخاوة الشين اجابة للطبع الذي ربما يميل لاجتماع الشديدين الى السلامة واللين وتباعد به بينهما تعمل عملاً مستهجناً ، وأنت حين تعتمد الى الشين المهوسمة الرخوة مع الدا ل المجهورة الشديدة في نحو أشدق فتشرب الشين صوت الجيم المجهورة الشديدة لتزيل ما بين السين والدا ل من التنافر فيتلاءما في الشدة والجهر تعمل عملاً مستحسناً

وقال قوله: والكاف والجيم : نحو جافر في كافر وكذا الجيم التي كالـكاف يقولون في جل كمل وفي رجل ركل وهي فاشية في أهل البحرين وهما جميعاً شيء واحد الا أن أصل احدهما الجيم وأصل الآخر الكاف كما ذكرنا في الجيم كالـشين والسين كالـجيم الا أن الشين كالـجيم مستحسنة وعكسه مستهجن والكاف كالـجيم وعكسه مستهجنان فقوله : لا يتحقق: فيه نظر وكأنه ظن أن مرادهم بالجيم كالـشين وحرف آخر غير الشين كالـجيم وكذا اظن ان مرادهم بالجيم كالـكاف غير مرادهم بالكاف كالـجيم وهو وهم

يريد الرضي بقوله « وهما جميعاً شيء واحد » أن النطق بالجيم في نحو جل ورجل مشربة صوت الكاف نحو جيم كمل وركل أي بين الجيم والكاف كالنطق بالكاف في نحو كافر مشربة صوت الجيم نحو جافر أي بين الكاف والجيم في أن إشراب الجيم صوت الكاف كإشراب الكاف صوت الجيم يخلق حرفاً واحداً في الموضعين لا هو جيم خالصة ولا هو كاف خالصة ولولا هذه الارادة لما قال « وهما جميعاً شيء واحد »

ويريد بقوله عن ابن الحاجب « وكأنه ظن ان مرادهم بالجيم كالـشين حرف آخر غير الشين كالـجيم وكذا ظن أن مرادهم بالجيم كالـكاف غير مرادهم بالكاف كالـجيم وهو وهم » أن الحرف الذي يحدث بإشراب الجيم صوت الشين هو نفسه الحرف الذي يحدث بإشراب الشين صوت الجيم وكذا الحرف الذي يحدث بإشراب الجيم صوت الكاف هو نفسه الحرف الذي



يحدث بإشراب الكاف صوت الجيم فقول ابن الحاجب « وأما الجيم كالـكاف والجيم كالـشين فلا يتحقق » كلام وهم حقاً غير صحيح ما دام عكس كل منهما تحقق باعتباره وهو الكاف كالـجيم ، والشين كالـجيم لأن الحرف الناشئ من اجتماع شين ودال هو نفسه الناشئ عن اجتماع جيم ودال وكذا الحرف الناشئ من لفظ الجيم مشربة صوت الكاف هو نفسه الحرف الناشئ من لفظ الكاف مشربة صوت الجيم

وقال العلامة المحقق أبو البقاء ابن يعيش على المفصل في النحو لإمام اللغة والأدب أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ما يأتي :

« فأما الكاف التي بين الجيم والكاف فقال ابن دريد هي لغة في اليمن يقولون في جمل كمل وفي رجل ركمل وهي في عوام أهل بغداد فاشية شبيهة بالاشعة . والجيم التي كالـكاف كذلك وهما جميعاً شيء واحد إلا أن أصل إحداهما الجيم وأصل الأخرى الكاف ثم يقابلونهما إلى هذا الحرف الذي بينهما »

( يريد بالحرف الذي بينهما الحرف الذي بين الجيم والكاف وبين الكاف والجيم وهو حرف واحد ثالث لاهو جيم خالصة ولا هو كاف خالصة بل هو مزيج منهما معاً في الموضعين لذلك يحسن أن يوضع فوق كاف كمل وركمل حرف جيم وفوق جيم جافر حرف كاف ) وقال : وأما الجيم التي كالـشين فهي تكثر في الجيم الساكنة إذا كان بعدها دال أو تاء نحو قولهم في اجتمعوا والأجدر اتمعوا والاشدر فتقرب الجيم من الشين لأنهما من مخرج واحد إلا أن الشين أبين وأفشى

فإن قيل فما الفرق بين الشين التي كالـجيم حتى جعلت في الحروف المستهجنة وبين الجيم التي كالـشين حتى جعلت في الحروف المستهجنة قيل إن الأول كره فيه الجمع بين الشين والدال لما بينهما من التباين الذي ذكرناه وأما إذا كانت الجيم مقدمة كالـجور واجتمعوا فليس بين الجيم والدال من التنافي والتباعد ما بين الشين والدال فلذلك حسن الأول وضعف الثاني » ص ١٤٦٣ ابن يعيش ، طبع اوربا

وفي شرح الدماميني على التسهيل في الحروف المستهجنة ما يأتي نقلاً عن نسخة خطية في مكتبة كلية اللغة العربية من كليات الأزهر الشريف بشارع أبراموني بمصر :

« وفروع تستقيم وهي كاف كجيم ( كقولهم في كل جمل بحرف يشابه الجيم . قال ابن دريد وهي لغة في اليمن كثيرة في أهل بغداد ) وبالعكس ( وهي جيم ككاف مثل قولهم : في رجل ركل بحرف يشابه الكاف . وجعل ميبويه الكاف كالـجيم والجيم كالـكاف حرفاً واحداً وعدّها ابن جني وتبعه ابن عصفور والمصنف حرفين مراعاة للأصل ، ( وجيم كشين )



نحو الأشدر في الأجدر فينطقون عوض الجيم بحرف شبيه بالشين وذكر الشارح السؤال المشهور وهو أنه لم عدت الشين كالجيم في الفروع المستحسنة والجيم كالشين في الفروع المستقبحة؟ وجوابه ان الجيم حرف قوي والشين حرف ضعيف وتقريب الضعيف من القوي مستحسن بخلاف العكس

### الدليل الناطق المتواتر القطعي

هذه هي نصوص الأئمة في النطق الصحيح الفصيح بحرف الجيم الذي يجب التزامه وجر ما عداه وهي أمتع من عقاب الجوا لا يتسامى اليها شك ولا طعن ولا تأويل . ومن هذه النصوص ترى أن الأئمة أجمعوا على استهجان وانكار الجيم التي كالـكاف والجيم التي كالشين . وبقي دليل آخر يؤيد هذه النصوص كل التأييد وهو مثلها لا يتسرّب اليه شك بل هو قاطع في الدلالة ، قطعاً وهذا الدليل هو السماع والمشاهدة

لا شك أن أسلافنا لم يكونوا يملكون في أيام الجاهلية ولا في صدر الاسلام ولا في بقية العصور الاسلامية السابقة لعصرنا الحاضر ما نملك نحن الآن من الأجهزة والادوات الحديثة لالتقاط الاصوات وحفظها وإذاعتها كما هي فتستطيع أن نسمع من أراد صوت الجيم عن العرب الخالص الفصحاء

غير أننا عوَضنا عنها ما أغنانا عنها وهو الرواية القائمة على الصدق والأمانة والقطنة والحذر الشديد، الرواية التي بلغت فيها الأمة العربية الاسلامية منذ انبثاق فجر الاسلام الى الآن ما لم تبلغه أمة من الامم لا في العصور القديمة ولا الحديثة، وقد بلغت الرواية الذروة في رواية الحديث الشريف . أما رواية القرآن الكريم والحرص على رسمه ولفظه وأدائه كما أنزل خُذَّتْ عن اتقانها وجودتها وسلامتها من الخطأ ما شئت أن تحدث

رواية القرآن الكريم — وقريب منها رواية الحديث الشريف — أقامت الأمة العربية الاسلامية وأقعدتها وأقعدت عن علوم القراءات والتجويد وفن رسم الحروف بل وهي التي أوحى لعلم النحو

وطريق هذه الرواية هي أن يتلقّى مريد القرآن الكريم قراءته قراءة صحيحة متقنة بإخراج الحروف من مخارجها وبمراعاة صفاتها الذاتية والعرضية تمام المراعاة ويتدرّب عليها على مدرّب تلقى القرآن عن مدرّب آخر بهذه الطريقة وتلقاه المدرّب الآخر على هذا النحو وهكذا حتى يتصل بسند الرواية بالمعلم الاول وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وعندى أن خير الشعوب العربية الاسلامية رواية وحفظاً وأداءً للقرآن الكريم هو الشعب



المصري . وقد أصبحت رواية القرآن الكريم وحفظه على ذلك النحو أمانة في عنقه لا نمراده وتقدمه في هذه الرواية وهذا الحفظ منذ قرون طويلة مضت

وفي الديار المصرية العامة مشيخة للقراء يتدربون فيها على القراءة الجيدة المتقنة على شيوخ ذوي علم وخبرة بها وأقدام راسخة فيها وعلى رأسهم جميعاً إمام القراء في هذه الديار وهو من خير حُذَّاقهم فيها . ولهم مقارء في كثير من مساجد القاهرة يجتمعون كل يوم طوائف في عدة مساجد منها بين صلاتي العصر والمغرب ويتدارسون القرآن الكريم فيها في حضرة شيخ من ثقات شيوخهم وحذَّاقهم

وإذا حضرت أيها القارئ هذه المقارء مرات وأطلت الجلوس وأرهفت السمع لا تسمع حرف الجيم فيها يلفظ إلا من مخرجه في أول الشَّجَر من فاحية فتحة الفم الخلفية بدون الاقتراب به من مخرج الكاف وجعله كالـكاف المغاظة ، وبدون الاقتراب من مخرج الشين وبدون إشرابه صوتها ( تعطيشه )<sup>(١)</sup>

ولقد حضرت هذه المقارء غير مرة وأطلت الجلوس من أوّل الوقت الى نهايته وأرهفت سمعي كل الارهاف بشغف وانتباه لصوت الجيم فلم أسمع إلا ما ذكرت ولم أكتف بذلك فالتقيت بإمام القراء السابق المرحوم الشيخ محمد خلف الحسيني رضي الله عنه ثم بإمامهم الحاضر أطال الله بقاءه حضرة صاحب الفضيلة الشيخ علي الضباع وسألت كلاهما — وهو شيخ للمقارء — عن النطق الصحيح الفصيح الوارد في القرآن الكريم لحرف الجيم الذي يجب التزامه وهجر ما عداه فكان صلب جوابهما مع اختلاف زمنيهما واحداً وهو « الابتعاد بمخرج الجيم حين النطق به عن مخرج حرف الشين وعدم إشرابه شيئاً من صوته — عدم تعطيشه — كما ينطق به السوريون » وهذا هو الأمر الخطير الذي بعثني على كتابة هذا المقال أما الجواب الأخير بشيء من الاطالة فهو : أن الجيم تلفظ في القرآن الكريم من مخرجها من أول الشَّجَر من ناحية فتحة الفم الخلفية كما ينطق بها بعض أهل القاهرة وخير مثال لهم قراء المقارء ، ولا تجعل كالـكاف المغاظة كنطق كثير من القاهريين الاصليين ولا تجعل قريبة من الشين بإشرابها صوتها ( تعطيشها ) كنطق السوريين والاسكندرانيين الاصليين

وإذ كان مثل هذا الكلام لا يمكن ادراكه على حقيقته إلا بالسمع فاني أرجو من كل من يعنيههم الأمر أن يحضروا المقارء المصرية فإن لم يكن ذلك ممكناً فلينصتوا بانتباه الى القرآن يذاع من محطة الاذاعة بالقاهرة

(١) كلمة تعطيش لا أصل لها في كتب العربية ولا يعرفها القراء



# عدد الحرب

عند العرب

لمحمد عبد الغني حسن

قال أبو فراس الحمداني

أنا إذا اشتدَّ الزمان وناب خطب وادلهم  
ألقيت حول بيوتنا عدد الشجاعة والكرم

أما الفخر بالكرم فهو موضوع رجيء الحديث فيه الى وقت آخر، وأما (عدد الشجاعة) فذلك موضوع نجد الكلام فيه اليوم ملائماً والحديث عنه الآن مستملحاً في وقت يفتخر فيه أبطال الحرب القائمة بمغامراتهم، ويعتز أبطال الجو بشجاعتهم، وبنيتهم أعضاء «الكوماندوز» فيه بمخاطراتهم ومجازاتهم

وعدد الشجاعة يختلف تبعاً للزمان والمكان، فهي عند الرومان غيرها عند العرب القدماء وهي في العصور القديمة غيرها في العصور الحديثة، وهي في العصور المظلمة غيرها في عصور النور

ولا شك أن شاعرنا الحمداني يقصد بعدد الشجاعة في شعره الحماسي الافتخاري: الخيل والسيوف والرماح والقسي والنبال والدروع والتروس وما إليها من أدوات القتال في العصور السابقة على الاسلام والتالية له بكثير

أما اليوم فإذا أذن المقام لشاعر أوربي أو أميركي أن يفتخر بعدد شجاعته — والفخر طبيعة في النفوس — فماذا يقصد بتلك العدد؟ لا شك ان العدد القديمة قد تولى زمانها ودالت دولتها. ولم يعد للرمح والسيوف والقوس والنبال ما كان لها من المقام في العصور السوالف وتنازلت الخيل عن رفيع مكانها. والسيوف عن مشهور سلطانها، وتخلت الرماح عن عالياتها ومنانها الى المدفع القاصف والرصاص المدمدم، والقذائف المهذمة والطوآثر الخربة والنسافات المحطمة والديابات التي تدب على الأرض لا تبالي ميهاً ولا حزنأً، ولا مرتفعاً ولا منخفضاً، ولا تمر ببقعة الا ذللتها، ولا نشزة من الأرض إلا مهدتها تصيب الاهداف ولا تصاب، وتعيب المسالح ولا تغاب

ومن حظ التاريخ أن عدد الشجاعة القديمة لم تضع بأوصافها وآثارها، وان ضاعت



باستعمالها وتداولها . فقد خلدتها الكتاب وسجلها الشعراء . ولا تكاد تقرأ شعراً حماسياً لفارس كعنترة أو شجاع كمالك بن نويرة أو جريء كعروة بن الورد أو متحمس كعمرو بن كلثوم إلا وجدت فيه وصفاً شاملاً للخيل العاديات والسهام المسمومة والقسي المرنانة

\* \* \*

وأول عدد الشجاعة عند العربي الخيل فقد آثروها على غيرها ، وفضلها بعضهم على الأولاد وفلذات الأكباد ، واستكرموها للزينة والطراد . وقد يطوي العربي وخيله شبعي ، ويظلم جواده راوية . والى هذا يشير شاعر من بني عامر بن صعصعة بقوله :

بني عامر ما لي أرى الخيل أصبحت خاصاً وبعض الضمر للخيل أفضل

بني عامر ان الخيول وقاية لانفسكم والموت وقت مؤجل

متى تكرموها بكرم المرء نفسه وكل امرئ من قومه حيث ينزل

ولامرئ القيس أبيات في وصف فرسه من معلقته نكتفي بالاشارة اليها ولا نذكرها لمكان شهرتها وانتشارها في كتب الادب

وقد عني العرب باختيار الخيل واختبارها والفراسة فيها حتى أصبح ذلك فيهم علماً مبنياً على التجربة لطول ممارستهم لها وكثرة اعتمادهم عليها . والعربي ينظر الى الفرس في جميع حالاته وعلى كل هيئاته ، وذلك في سكونه وحركته وقيامه وربوضه ومشيه وعَنَقِهِ، وخبئه وتقريبه ، فقل أن تخطئه الفراسة أو تند عنه التجربة . والفرس الكريم هو الذي يقول جرير الشاعر في مثله :

وقد قرّبوا حين جد الرهان بسام الى البلد الابدع

يقطع بالجري أنفاسهم بثني العنان ولم يجهد

والى ايتار الخيل واعزازها تشير أبيات الاخطل التي قد تنسب الى عبدالله بن عباس وهي :

أحبوا الخيل واصطبروا عليها فان العز فيها والجمال

اذا ما الخيل ضيعها أناس ضممنها فشاركت العيالا

نقاسمها المعيشة كل يوم ونلبسها البراقع والجلالا

وقد يتخذ العربي من فرسه معقلاً له وحصناً يأوي اليه كما قال لبيد : —

معاقلنا التي نأوي اليها بنات الأعوجية والسيوف

\* \* \*

أما السيوف فلها في تاريخ العرب مقام يلي مقام الخيل ، والحق أن الفارس لا تتم له الفروسية إلا بصهوة جواده وقائم سيفه . وما قيمة الفرس بغير سيف ؟ والعرب تقول في السيف أنه ظل الموت ولعاب المنية ، وهي كناية لطيفة ، ومن ماثور الكلام عندهم « السيف هو



الصاحب الولي ، والصديق الوفي ، والرمول الوحي — أي السريع الفصل في الأمور .  
وقد فضل أبو تمام السيف على القلم في قوله :

السيف أصدق أنباءً من الكتب      في حده الحد بين الجد واللعب  
بيض الصفائح لاسود الصفائف في      متونهن جلاء الشك والريب

والموازنة هنا لطيفة بين السيف والقلم ، وإن كان الشاعر لم يثبت على رأي : فقد فضل  
القلم في قصيدة أخرى يقول فيها : —

لك القلم الأعلى الذي بشباته      تصاب من الأمر الكلي والمفاصل  
لعاب الأفاعي القاتلات لعابه      واري الجنى اشتراته أيد عواسل

والغالب في الضرب بالسيف أن يكون طعنًا كالرمح ، وقد يكون ضربًا كالعمود  
أو قطعًا كالسكين أو إلهابًا كالسوط

وشرط السيف أن يكون ماضي الحد حسن الماء سريع المقطع ، ولا يكفي ذلك كله ما لم  
يكن السيف في يد البطل ، فما قيمة السيف البتار في يد لا تعرف الضرب ؟ وروون في ذلك  
أن عمر بن الخطاب سأل عن أمضى سيوف العرب ف قيل له صمصامة عمرو بن معديكرب  
الزبيدي فبعث إليه عمر أن يبعث إليه بسيفه ، فلما ضرب به الخليفة وجده دون ما كان يبلغه  
عنه ، فكتب إليه في ذلك فرد ابن معديكرب قائلاً : اني بعثت الى أمير المؤمنين بالسيف  
ولم أبعث إليه بالساعد الذي يضرب به . وهو السيف الذي يقول فيه الشاعر : —

وكأن المنون نيطت إليه      فهو من كل جانبه منون

ولاشك أن كثرة الضرب بالسيوف تترك فيها أثراً وتدع فيها فلولاً . وذلك صفة مدح  
في صاحب السيف تدل على طول ممارسته للمقارعة والمصاولة . فقد مدح النابغة الذبياني  
مدوحه بقوله :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم      بهن فلول من قراع الكتائب

وهذا الكلام يشبه الذم ولكنه المدح كل المدح ، ويسميه البلاغيون تأكيد المدح بما  
يشبه الذم . والفارس البطل يفخر أن يكون في مضرب سيفه آثار الضرب وفلول القراع كما  
قال بشر بن عوانة :

وفي يميني ماضي الحد أبقي      بمضربه قراع الموت أثرا

وكانت أحسن السيوف العربية وأومعها شهرة تصنع في مشارف اليمن أو بلاد الهند فقبل  
للسيف مشرفي ويماني وهندواني ومهند . وكل معركة قاتلة تحتاج الى مقاتلة من طرفين



ومشاركة من جانبين إلا المنون فأنها تقتلنا من غير قتال . وإلى هذا أشار المتنبي في مطلع  
لاميته المتعارفة

نعد المشرقية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال

ولقد اهتم العرب بالسيف اهتمامهم بالفرس ، لأنه من عدد الشجاعة عندهم ، فوضعوا له  
الأوصاف التي تدل على معاني فيه ، كما وضعوا له الأسماء الكثيرة ، فمن أسمائه التي تحمل معنى  
الصفات : الصقيل والمفصل والخذم والجرار والبار والعضب والقاضب . ومن توابع السيف  
جماله التي يعلق بها ، ومفردها جمالة ، وهي النجاد أيضاً . والقرباب ما يوضع فيه السيف وهو  
العمد والجراب

ومن جماعة الشعراء الفوارس من افتخر بسيفه وحسن ادارته له وتقليبه في كفه وخاصة  
في العصر الجاهلي الذي اشتهر بكثرة الغارات والحروب ، كطرفه بن العبد صاحب المعلقة  
التي يقول منها :

وآليت لا ينفك كشحي بطانة لعضبٍ صقيل الشفرتين مهند

أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة اذا قيل مهلاً قال حاضره قد

ومن شعراء الاسلام من كانت حقيقة شجاعته دون وصفه ، وكانت فروسيته أقل بكثير  
من افتخاره ، كابن المعتز الذي أحسن وصف السيف وتشبيهه ولكن لم يحسن استعماله فوثب  
عليه غلمان المقتدر وخلعوه ، وخنقه الخادم مؤنس ، ولم ينفعه سيفه الذي يقول فيه : —

ولي صارم فيه المنايا - كوامن فما ينثني إلا لسفك دماء

ترى فوق متنيه الفرند كأنه بقية غيم رقّ دون سماء

والرمح هو عدة الشجاعة الثالثة ، وله في أيام العرب حديث يطول ، فما خلا منه شعر ،  
ولا قامت بغيره معركة وقد أوصى النبي باستعماله فقال : « عليكم بالقنا والقسيّ فيها نصر  
نبيكم وفتح لكم في البلاد » . وكان له عليه السلام أربعة أرماح : رمح يسمى المتثنى والثلاثة  
الباقيات أصابها في موقعة من سلاح بني قينقاع

وأفضل الرماح — كما ذكرت العرب — ما اذا هزرت لم يتعطف ، واذا ضربت به لم  
يتقصف ، وشرها الذي اذا اكبرته انحطم واذا طعنت به انقصم . ولقد قامت للرمح في بلاد  
العرب صناعة اشتهر بها المثقفون الذين يقوّمون الرماح ويجهلون مستقيمة صعدة .  
والثقافة هي صناعة تنقيف الرماح أي تقويمها ، ومنه الكلمة الحديثة « الثقافة » التي تستعمل  
ترجمة لكلمة Culture الانكليزية لأن فيها معنى تنقيف العقول

ومن أبدع ما قيل في الرمح قول القاضي الشريف أبي القاسم الحسيني الاندلسي :



وأصم ممطول الكعوب اذا اقتضى مهبج الحكاة فدَيْنُهُ لا يُمطل  
متوقد حتى أقول أذابل بيدي منه أم ذبال مشعل  
لولا التهاب النصل أينع عوده مما يعمل من الدماء وينهل  
فأعجب له أن النجيع بطرفه رمد ولا يخفى عليه مقتل

\*\*\*

والقسي هي عدد الشجاعة الرابعة ، فهي من أزم لوازم الفرسان بعد الفرس والسيف  
والسنان . وكان النبي عليه السلام يستعملها ويخطب عند الحرب وهو متكئ على قوسه . وكان  
له منهن أربع قسي ذكرت كتب السير أسماءها

والقوس نومان قوس اليد وهي المستعملة في بلاد العرب ، وقوس الرجل وكانت تستعمل  
في بلاد الاندلس ، وقد أخذها عرب اسبانيا عن الفرنجة

وأحسن أنواع القسي ما اتخذ من النبع وهو عيدان شجر بري ، على أن كثيراً من القسي  
اتخذت من عيدان شجر النارج والسفرجل والتفاح . وقد وضع العرب للقوس والنبال أسماء  
وسموا الرماة بحسب توفيقهم في الاصابة . واحتفظوا في حديد السهام شروطاً وقسموه  
أنواعاً . فمنه الحديد لسهام الصيد ، والحديد للسهام التي تخترق الدروع والتروس ، والحديد  
للسهام التي تحرق السفن والأبراج

\*\*\*

أما الدروع والتروس وأشباهاها فهي تنمة عدد الشجاعة في العصور القديمة ، وقد  
انتهى اليوم زمانها ، ولم يبق منها إلا الخوذة أو البيضة التي توضع على الرأس ليتقي  
المحاربون بها شظايا القنابل ، والخوذة على الرأس أخف محملاً من الدرع على الجسد ، وهي  
لا تعوق المقاتل عن تأدية واجبه كما تصنع الدرع التي تعطل الحركات في حرب تحتاج الى  
السرعة والخفة في الغدوات والروحات

هذه خواطر سريعة في عدد الشجاعة القديمة ، جمعتها من مطالعات مختلفة واستأنست فيها  
بكتاب قيم اسمه «حلية الفرسان وشعار الشجعان» وهو بعينه القمم الثاني من كتاب «تحفة  
الأنفس وشعار سكان الاندلس» وهذا الكتاب مخطوط ولكنه طبع «بالزكوغراف» —  
كما طبع كتاب الانساب للسمعاني في اوربا — بالخط المغربي وأشرف على تصحيحه واخراجه  
المستشرق الفرنسي لويس مرسويه قنصل فرنسا في بلاد المغرب في حينه ، اما مؤلف الكتابين:  
الحلية والتحفة فهو علي بن عبد الرحمن بن هذيل من علماء الاندلس وأدبائها في القرن  
الثامن الهجري



# عمر الخيام

كما أعرفه

لمحمود المنجوري

## الفصل الاول

### هل عمر الخيام خرافة ؟

قرأت في سنة ١٩٢٧ بحثاً في جريدة فتى العرب الصادرة عن دمشق ، مقالاً ترجمه الأستاذ احمد شاكر الكرمي عن جريدة «المورنج بوست» ، تناول موضوع جدل قام يومئذ بين عالمين جليلين من علماء الانجليز المستشرقين وهما الدكتور مللر ودينسن رؤس إذ أنكر الاول الخيام ككائن له وجود ، وقال بأنه خرافة موضوعة ، وأيد رأيه هذا بنصوص ، وعارضه السير دنسن رؤس ، وعمد الى نقض أقواله بنصوص أوردها

ولقد رأيت يومئذ ان الرد على انكار وجود الخيام بالوضع الذي ساقه السير رس يحتاج الى تدعيم من ناحية الوثائق التاريخية ، فعمدت الى درس هذا الموضوع وبعثت به الى «المورنج بوست» أدليت فيه بما وصل اليه درسي من وثائق الى هذا التاريخ ، يهدم زعم الدكتور مللر ، ويقيم الحجة على ان بعض العلماء المستشرقين على الرغم من طلاوة أبحاثهم لا يمكنهم أن يلموا إلمام الباحث الشرقي في أدب بلاده

كتب الدكتور ا. ه. مللر قال : أعلن ان عدداً من محبي عمر الخيام سيقومون برحلة من انكلترا الى نيسابور ابتغاء تجديد الضريح الذي أخنت عليه الايام والذي يظن أنه يضم رفات عمر الخيام الذي ينسب اليه ذلك الشعر الذي استمد منه فتى جراند ديوان الشعر المشهور والمسمى رباعيات عمر الخيام

وانه لجدير بنا أن نقسأ هل لعمر الخيام دفين نيسابور علاقة بالرباعيات التي كانت أصلاً لما ترجمه فتى جرلد ؟ انني منذ ثلاثين عاماً أبحث هذا الموضوع في عناية وأظن ان الوقت قد حان لكشف النقاب عن خرافة عمر الخيام :

ما هو معنى الرباعيات في اللغة الفارسية ؟ ان هذه الكلمة تعني مختارات من المقطوعات



الشعرية لا صلة بين بعضها وبعض ولا وحدة لها ، هي مجموعة في كتاب خلال سنوات عديدة ، ويشبهها بعض الشبه ( السجل الادبي ) الذي كانت تضعه السيدات في صالونات الادب في القرن الماضي ليدون فيه الشعراء الذين يزورونهن شيئاً من نظمهم الارتجالي وقد زالت اليوم هذه العادة

فديوان الرباعيات هو مجموعة لا انسجام فيها ، ولكن فتزجرلد أخرج منه قصيدة متلاحمة ذات وحدة متماسكة بعد نفرة واضحة . إلا أن الذي يستعصى على الحل هو نسبة تلك المجموعة الفارسية التي لم ير فتزجرلد سواها الى عمر الخيام ، فقد خفصت بنفسي تلك المجموعة في مكتبة بودلين فلم أجد اسم عمر الخيام مذكوراً فيها على الاطلاق فن هو عمر الخيام هذا الذي جاء باسمه فتزجرلد الى عالم الادب الانجليزي سنة ١٨٥٩ وجعله معروفاً مشهوراً ؟ لقد راجعت تواريخ بلاد الفرس وكتب الادب الفارسية ، وسألت كثيراً من أدباء الفارسيين فوجدت التاريخ يشير اشارات غامضة الى عمر الخيام ، أما كتب الادب الفارسية ( ولا أعني مؤلفات دير بيلو أو فون هامر أو سواها من الناقلين ) فهي خالية من أية اشارة الى الخيام على انه شاعر

وأما ما روي عن حياة الخيام فقليل ، وهو على قلته محوط بشبهات لا يقبلها المؤرخ العصري ولا يرتضيها ، وأقدم مصدر لأخبار الخيام هو « الوصية » المنسوبة الى نظام الملك صديق عمر الخيام وزميله في طلب العلم ، الذي كان وزيراً للسلطان الب ارسلان بن ارطغرل بك التتري مؤسس دولة بني سلجوق

\*\*\*

قال نظام الملك في وصيته ان أباه أرسله الى نيسابور ليلتقى العلم على العالم المشهور الامام الموفق النيسابوري ، وهناك لقي تلميذين في مثل سنه أحدهما الحكيم عمر الخيام والثاني الحسن بن الصباح فشأت بينهم صحبة وصدافة وقال في عمر إنه من أهل نيسابور ، أما الحسن فقد كان أبوه زنديقاً ، وقد صار الحسن فيما بعد زعيم طائفة الاسماعيلية ، التي يعتقد أفرادها بوجوب ذبح جميع من يخالفهم من غير تمييز ولا تفريق . وتقول ( الوصية ) المبهمة ان الرفاق الثلاثة اتفقوا على ان يجتمعوا في مستقبل الأيام فاذا كان أحدهم قد أصاب ثراءً أو جاهاً أو نعمة قاسمه الآخرون حسن حظه . ولما تقلد نظام الملك الوزارة وعرف ذلك أصحابه ، ذهبوا اليه يطالبونه انجازاً لوعده ، ولم يذكر نظام الملك في وصيته ما أعطاه للحسن ، ولكنه ذكر أنه أجرى على عمر الخيام رزقاً قدره ١٢٠٠ منقال من الذهب ، تعطى له من خزينة نيسابور ، ليستعين بها على متابعة درس الفلك . وفي ذلك الوقت خلف الملك شاه اباه الب ارسلان في الملك



سنة ١٠٧٢ م وكان مشغولا باصلاح التقويم ، فانتدب عمر وسبعة من العلماء للقيام بتلك المهمة العظيمة فاضطرَّ عمر الفلكي الى الانتقال الى مرو لهذه الغاية

والمؤرخ الذي ينظر بعين الفاحص الى هذه النصوص التاريخية لا يرى الا انها ملفقة موضوعة ، لقد أكد لنا ديريلو ان عمر الخيام توفي في نيسابور سنة ٥١٧ هـ أي سنة ١١٢٣ م ، ومن الواضح ان نظام الملك مات بعد وفاة الخيام بدليل انه ذكر في وصيته ان الخيام مدفون في نيسابور ، ووصية نظام الملك يجب ان تكون قد كتبت في أوائل سنة ١٠٩٢ م لأن الملك شاه عزله من الوزارة في تلك السنة ، وقد قتل بخنجر صديقه الحسن بن الصباح قبل نهاية السنة ، كما ان الملك شاه مات بعد شهر قليلة من طرد وزيره وفي هذا ما يناقض قصة عمر الخيام من أساسها ويذريها في الهواء

وقد يقول قائل ان مخطوط الرباعيات الموجود بين أيدينا فيه دليل على حقيقة عمر الخيام ، وليس الامر كذلك ، فان ذلك المخطوط يقول فيه فيتزجرلد نفسه « ان ذلك المخطوط المشوه تشويهاً لا مثيل له بسبب النسخ ، هو نادر الوجود في الشرق فلا يمكن الحصول عليه وإيصاله الى الغرب ، ولا يوجد من الكتاب نسخ في ( انديا هاوس ) ولا في المكتبة الأهلية بباريس ، ولا نعرف بوجود نسخة في إنجلترا سوى النسخة الموجودة في مكتبة بُدلين التي كتبت سنة ١٤٦٠ وهذه النسخة لا تحتوي الا على ١٥٨ رباعية ، وتوجد نسخة أخرى في مكتبة الجمعية الامسيوية في كلكتا تحتوي ، على الرغم من انها غير تامة ، على ٥١٦ رباعية فيها كثير من المكرر والمحرف

\*\*\*

وقد أشار الاستاذ كول الى « نسخة نادرة جداً طبعت في كلكتا سنة ١٨٣٦ وهي تحتوي ٤٣٦ رباعية مع ذيل يضم ٥٤ رباعية ليس لها وجود في الأصل ويكفي ان ينظر القارئ الى هذه الأقوال التي صرح بها مترجمو الرباعيات المنسوبة الى عمر الخيام ، ليعرف في وضوح ، انه لا توجد نسخة أصلية صحيحة للرباعيات كما كتبها عمر الخيام نفسه . وقد اعترف فيتزجرلد بأن نسخة مكتبة بُدلين التي اعتمد عليها في ترجمته ، لا يرجع عهد كتابتها الى أبعد من سنة ١٤٦٠ م ، فهي على هذا قد كتبت بعد وفاة عمر بنحو ٣٧٠ سنة ، ويعتقد فيتزجرلد ان تلك النسخة مدخول فيها ومحرفة

وأول طبعة من ترجمة الرباعيات لفيتزجرلد احتوت ٧٥ رباعية وقد زادت الطبعة الثانية حتى بلغت ١١٠ رباعية أما الطبعتان الثالثة والرابعة فقد احتوتا مائة رباعية ورباعية ، ومما لاشك فيه ان فيتزجرلد كان يزيد في كل طبعة كثيراً من الرباعيات التي لا وجود لها في الأصل



فما الذي يصنعه الباحث في قصيدة أو طائفة من المقطوعات الشعرية مات الشاعر الذي تنسب اليه في سنة ١٠٩٠ أو سنة ١١٢٦ ولم تعرف إشارة في الفرق حتى في مسقط رأسه فارس أو في الهند ، إلا في القرن الثامن عشر ، وقد اختلفت نسخ ديوانه ، فمنها ما حوى ٦٣٢ شطرة من الشعر ومنها ما حوى ٢٠٥٤ شطرة ، وأقدم نسخة من تلك النسخ دونت بعد أربعة قرون ، على وجه التقريب ، من وفاة المؤلف

ان علماء اللغة الفارسية يحكون على نسخة مكتبة يديين اذا اطلعوا عليها بأنها خليط من شعر حافظ وصعدي ومنطق فريد الدين العطار الذي كان يشتغل بالنسخ في شیراز ، وقد جمعت كلها وكتبت سنة ١٤٦٠ وأضيفت اليها الملح والمقتبسات والأمثلة التي لا يوجد مثلها في كتاب ويليام جونزس الذي سماه « النحو الفارسي » . وعليه فان عمر الخيام خرافة ، وان أشعاره انما هي أقوال جمعت ثم نسبت الى هذا الاسم الخيالي الجميل

هذا ما كتبه الدكتور مللر في « المورنج بوست » وهو في جملته مغالطات أخذ بعضها برقاب بعض ، وسأتي برذ السير دنسن رس ، ثم بتعقيبي عليه الذي أرسلته الى المورنج بوست قال السير دنسن رس : لا أريد أن أدخل في جدال مع أحد في موضوع عمر الخيام والسبب في ذلك عدم وجود موضوع للجدل ، ولكني أريد أن أدحض بعض « الحقائق الأساسية » التي زعمها الدكتور مللر والتي بنى عليها نظريته القائلة بأن عمر الخيام خرافة

ان حكاية الرفاق الثلاثة ( عمر الخيام ونظام الملك والحسن بن الصباح ) حكاية ملفقة ومنفقة على وضعها في التاريخ الادبي لهذا الشاعر ، فهي رواية وليس لقصتها إلا عمل لا طائل تحته لقد كتب الدكتور مللر يقول : فما الذي يصنعه الانسان في قصيدة أو طائفة من المقطوعات الشعرية مات الشاعر الذي تنسب اليه . . . وأجيب عن هذا القول بما يأتي :

١ — لقد توفي عمر الخيام حوالي سنة ١١٢٣ ولدينا تفصيلات عنه كتبها رجل اجتمع به فعلاً سنة ١١١٢ وزار قبره في نيسابور سنة ١١٣٥

٢ — لقد أشار اليه كشاعر مؤلفون ألفوا كتباً في السنوات الآتية ١١٧٦ م و ١١٩٠ م و ١١٩٨ م و ١٢٢٤ م و ١٢٤٠ م وقد نقل احدى رباعياته ( الجويقي ) مؤرخ المغول المشهور — وذلك سنة ١٢٦٠ م وذكرت ثلاث عشرة رباعية له مكتوبة في مجموعة أشعار فارسية كتبت سنة ١٣٤٠

٣ — أمر اختلاف المجموعات في عدد الرباعيات طبيعي ولما كان الخيام مرغوباً في شعره فلا غرابة اذا نسبت اليه مئات من الرباعيات التي نظمها سواه



٤ — أما ان النسخ القديمة من الرباعيات نادرة فهذا أمر طبيعي ليس فيه ما يستغرب أو يدل على شيء

٥ — ألف عمر الخيام عدة كتب علمية لم يبق منها على تمامها إلا اثنان ، رسالة في الجبر طبعت بالعربية والفرنسية في باريس سنة ١٨١٥ ورسالة في تعريفات اقليدس محفوظة في مكتبة ليدن . أما دعوى زيادة فترزجلد على الرباعيات فقد آن وقت ردها ان فترزجلد اتبع الأصل في ترجمته ولكنه لم يلتزم نقل الكلمات بل نقل المعاني وقد كان يترجم الرباعيتين أو أكثر في رباعية واحدة وينبغي لي أن أختتم ردي بكلمة في الرباعيات نفسها ، تطلق الرباعية عند الفرس على مقطوعة من الشعر ذات أربعة أسطر في موضوع واحد . وقد نظم هذا النوع من الشعر كل شعراء الفرس ولكن عمر الخيام امتاز عليهم بأسلوبه الفلسفي وتشاؤمه وقد جمعت هذه الرباعيات بعد وفاة الخيام ورتبت على حروف الهجاء ، ولكن فترزجلد لم يعبأ بهذا الترتيب بل عمد في ترتيب ما ترجمه ملاحظة الموضوع لا حروف الهجاء في القوافي

ويجب ألا يغرب عن البال ان العلامة كول عميد جامعة كبريدج وهو أكبر مستشرق أخرجته إنجلترا على الاطلاق هو أول من عرف فترزجلد بعمر الخيام ووجهه الى رباعياته ، وحمله فوق ذلك على دراسة شعره . على ان فترزجلد لم يكن يفهم الاصل الذي يترجمه فهما حرفياً بل كان يترجم مستوحياً المعاني التي ألهمت الخيام ، ومع ذلك فليس في مكنة أي ناقد أو متصدد لترجمة فترزجلد أن يجد نقصاً أو تقصيراً يغيّر المعاني أو ينقص منها أو يشوّهاها على ان رد السير دنسن رس على ما فيه من قوة البحث العلمي لا يخلو من مأخذ ، فقد أنكر هو الآخر حكاية الرفاق الثلاثة وذكرها على انها حكاية ملفقة وسلم بتلفيقها ولم يقدم دليلاً عليها على زعمه هذا مع ان هذه الحكاية مذكورة في كتب استشهد بها السير دنسن نفسه في رده على الدكتور مللر

انها جراءة على العلم وعلى التاريخ أن يقوم باحث فينكر شخصية علمية تاريخية دون أن يناقش الوسائل والاسباب التاريخية التي ذكرت هذه الشخصية ، وأن يترك الامر موضع شك مريب دون حجة أو برهان جديد ، فالدكتور مللر مبطل وليس له دليل ، وكان عليه أن ينقض الوثائق الآتية التي ذكرت عمر الخيام نقضاً علمياً . من ناحية التاريخ الادبي ومن ناحية ثقة المتأديين فيها ، واني لاسوق هذه الوثائق الى ما أشار اليه السير دنسن راجحاً أن يكون في هذا توثيقاً لرد العلامة السير دنسن ، وهذه الوثائق انما هي المصادر العلمية والتاريخية التي أهد بها البحث في عمر الخيام بوصفه شاعراً وعالمًا وفيلسوفًا وزعيماً من زعماء الباطنية في الاسلام



# علاقة رعاية الطفل

بحالة الأم من الناحية الاجتماعية<sup>(١)</sup>

للدكتور حسن كمال

أنشئ قسم رعاية الطفل والامومة في القطر المصري عام ١٩٢٧ لمعالجة الأمراض الوراثية وتحسين النسل والاهتمام بالامومة واحاطة الأمهات بوسائل العناية والوقاية وتشجيعهن على القيام بوظائف الامومة خير قيام ورعاية الطفل والعناية بصحته حتى تقل نسبة الوفيات بين الأطفال

ونستعرض الآن حالة سكان القطر ووفياتهم ثم نتبع مدى تأثير رعاية الطفل والامومة فيهم . وبديهي ان الاغراض السيامية التي أنشئت من أجلها مراكز رعاية الطفل هو زيادة تعداد السكان وزيادة مواليدهم والاقبال من وفياتهم . والجدول الآتي يبين عدد المواليد وعدد الوفيات في القطر المصري من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٤٠ :

السنة	عدد المواليد	عدد الوفيات	عدد الزيادة في السكان
١٩٣٦	٦٩٨١٨٦	٤٥٥٨٣٢	٢٤٢٣٥٤
١٩٣٧	٦٩٤٠٨٦	٤٣٤٢٠٨	٢٥٩٨٧٨
١٩٣٨	٧٠٤٣٧٦	٤٢٩٢٤٨	٢٧٥١٢٨
١٩٣٩	٦٩٦٧٤٦	٤٢٩٠٣٣	٢٦٧٧١٣
١٩٤٠	٦٩٧٧٠٠	٤٤٤٤٤٨	٢٧٢٢٥٢

ولتسهيل مقارنة هذه الاعداد بالنسبة الى كل الف من السكان تكون النتيجة كالآتي :

السنة	نسبة المواليد الى كل ألف من السكان	نسبة الوفيات الى كل ألف من السكان	نسبة الزيادة الى كل ألف من السكان
١٩٣٦	٤٤ر٢	٢٨ر٨	١٥ر٣
١٩٣٧	٤٣ر٥	٢٧ر٢	١٦ر٣
١٩٣٨	٤٣ر٣	٢٦ر٤	١٦ر٩
١٩٣٩	٤٢ر٢	٢٦ر٠	١٦ر٢
١٩٤٠	٤١ر٦	٢٦ر٥	١٥ر١

ومن ذلك يتضح أن هناك زيادة سنوية غير مطردة في السكان يجب المحافظة عليها . لأن زيادة السكان تعني زيادة الايدي العاملة وهذا معناه زيادة قوة الامة ولاطراد زيادة السكان يحسن العمد الى الوسائل الاجتماعية والطبية . فالاجتماعية

(١) محاضرة للدكتور حسن كمال مدير قسم رعاية الامومة والطفولة في مصلحة الصحة الاجتماعية (القاهرة)



كالترغيب في الزواج بمختلف الطرق أو سن قوانين تقضي على الذين لا يتزوجون بدفع ضرائب للحكومة أكثر من المتزوجين ، أو تفضيل المتزوجات والمتزوجين على غير المتزوجين والمتزوجات عند الالتحاق بالوظائف العمومية . لكن هذه الطرق مقيّدة للحرية الشخصية . أما الوسائل الطبية فتتخلص في علاج العقم عند المتزوجين والمتزوجات

بعد ذلك تأتي مقاومة زيادة الوفيات وهذه أهم وسيلة لزيادة سكان القطر . لأنه في كل ألف من المتوفين من جميع الأعمار يموت ٢١٦ طفلاً بين الولادة ، وبلغ السنة ١٥٥ طفلاً بين السنة والسنتين و ١٣٢ طفلاً بين السنتين والخمس سنوات . فيكون المجموع ٥٤٨ طفلاً . ومعنى هذا أن نصف الذين يموتون في القطر المصري من جميع الأعمار هم أطفال يقل عمرهم عن الخمس سنوات وهي حقيقة تدل على شدة وطأة الموت على الأطفال المصريين كما تدل على أن سن الطفولة هو أنسب سن للاقلال من الوفيات عامة

نشأت فكرة رعاية الطفل والام على أثر احصاء الوفيات وتوزيعها على الأعمار ، إذ اتضحت الحقائق السابقة فأصبح لزاماً على رجال الحكم وضع حداً لهذه الخسارة الهائلة في أرواح السكان . ففي سنة ١٩٢٧ أنشأت وزارة الصحة دوراً خاصة هي مراكز رعاية الطفل والامومة ومن ذلك التاريخ أخذ تعداد هذه المراكز يكبر حتى بلغ الآن ٦٢ مركزاً تابعاً لوزارة الصحة ، وهناك مراكز أخرى صغيرة عديدة في القرى تشرف عليها مصلحة الصحة القروية كما أن هناك مراكز أخرى تابعة لمجلس بلدي الاسكندرية . وكانت الامهات اول الامر تعتقد انهن أقدر على ارضاع أطفالهن والعناية بهم وبأنفسهن من مراكز رعاية الطفل . لذلك أحجمن أولاً عن طلب المساعدة من تلك المراكز

لكننا الآن بعد أن شاهدنا اقبال الجمهور على هذه المراكز علمنا ان تلك الافكار والعقائد كان أساسها الجهل والكسل . ولا أدل على ذلك من ان عدد الولادات التي قامت بها مراكز رعاية الطفل عام ١٩٤٢ بلغت ٨٦٨٠٦ ولادة وان عدد الاطفال المترددين على مراكز رعاية الطفل في ذلك العام أيضاً ١٣٥٥٢٧٥ طفلاً . وعدد الحوامل القديمات ٣٥٣٢٩٢ وعدد الحوامل الجديديات ١٠٤٩٢٩ وعدد عينات الدم المأخوذة للفحص ٨٥١٤٦ عينة

ومع ذلك فإذا قارنا حالنا هذه بالحال في بريطانيا لا تضح لنا الفرق الهائل ومدى ما يجب علينا عمله حتى نصل الى ما وصل اليه الانجليز . ففي بداية هذه الحرب ١٩٤٠ كان أكثر من ٣٠٠٠ مركزاً لرعاية الطفل كبيرة : ٢٥٠٠ مركزاً صغيراً لرعاية الطفل والامومة شبيهاً بالعيادة الخارجية . وأصبح الآن أكثر من ثلاثة أرباع الامهات ببلاد الانجليز يتمتعن بخدمات مراكز رعاية الطفل والام



وهكذا أصبحت مراكز رعاية الطفل والامومة محل نزاحم الأمهات . والحقيقة ان العمل في هذه المراكز له تأثير يخالف تأثير عيادات المستشفيات . ففي الاخيرة مرضى كثيرون وفيها أنظمة خاصة قد تأنف منها الأمهات السليمات ومعهن أطفالهن الأصحاء . أما الجو في مراكز رعاية الطفل فأشبه شيء بجو أسرة من أول دخول المركز الى الخروج منه . فهناك تلقى المحاضرات وتدرس دروس عملية لطرق ارضاع الطفل وملبسه ونظافته والعناية بعينه وصحته وغذائه ، وعلى هذا العناية بالأمهات وغير ذلك . كما ان المراكز تقوم بعلاج الحالات البسيطة وتصرف الشديدة منها الى المستشفيات القريبة . وهناك أيضاً يوزن الاطفال وتقاس حرارتهم وتدوّن فتتعلّم الأمهات مدى نمو أطفالهن وصحتهم وطرق مراقبتهم . وهناك مراكز توزع فيها الأغذية ذات القيمة الخاصة من جهة الفيتامينات التي تساعد على نمو الطفل وتدرأ عنه الامراض وهناك حقن الوقاية ضد الدفتيريا والتطعيم ضد الجدري . كما ان هناك دروس تعطى لتفصيل ملابس الاطفال الى جنب مراكز تقوم بالألعاب الرياضية للطفل وتبدأ العناية بالطفل من الشهر الثالث للحمل فتذهب أمه الى المركز ويبحث عما فيها من مرض سيؤثر على الطفل مدة حمله وعند وضعه وبعد ولادته . فيحبل بول الأم وتقاس أبعاد الحوض ويحدد وضع الجنين ويحلل دم الأم وغير ذلك وتنبه الى ما يحسن بها عمله . مدة حملها . ثم يعاد فحصها باستمرار حتى الوضع وعندئذ يباشر مركز رعاية الطفل ولادتها ومقاسها ويتعهد طفلها حتى السنة الخامسة من العمر والحقيقة ان كثيراً من أمراض الاطفال واصاباتهم هي نتيجة عدم العناية بكل هذه الخطوات فعدم العناية بصحة الأم وجنينها وقت الحمل يسبب كثيراً من الأمراض ومخاطر الوضع . وعدم العناية وقت الوضع يسبب امراضاً كثيرة ووفيات عديدة للأمهات والاطفال . أما الاهمال بعد الوضع فحدث عن مضاعفاته ولا حرج فهناك النزلات المعوية والالتهابات الرئوية والرمم الصيدي وغير ذلك من الأمراض التي لا تحصى

هذه الرعاية من النواحي الاجتماعية الهامة وقد كان الشعب المصري يجهلها فهي تظهر قيمة الوقاية وطرق المحافظة على الصحة وتظهر ضرورة معالجة الوالدين من كل مرض يصيبهما ويعوق رعايتهما لأطفالهما اذ ينتهي الى أطفالهم فيصابون به أيضاً . تظهر قيمة الصحة في المجتمع بعد دخول المدارس حيث يتمكن الطفل ، بما أوتي من حسن رعاية وجودة غذاء وكال نمو ووفرة صحة ، من النبوغ والتقدم بخطوات مريئة لا تقاس بخطوات من سبقه من الاطفال . تظهر للمجتمع فائدة انتاج جيل صحيح سليم يكون جيشاً يدرأ عن الأمة الأعداء وعن القطر الكسل والجهل وعن الأهل المرض فتقل الأمراض بالنسبة الى قوة المقاومة كما تقل مصاريف المستشفيات



على حين تكثر رؤوس الأموال في المشروعات النافعة كالشركات والمصانع فتتوفر الثروة والصحة والنشاط والقوة والعزة ثم يتلاشى الفقر والمرض والسكسل والضعف والمذلة ذلك باختيار هو الغرض الاسمي لرعاية الطفل وأثره في المجتمع على انه لا تتوفر رعاية الطفل في أمة الا بتوفر الشروط الآتية أو قل الوسايا الاثنى عشرة — أو قانون رعاية الطفل —

- ١ — يجب ان يولد الطفل ولادة طبيعية وهو خالٍ من مرض وراثي
- ٢ — يجب ان يتوفر للطفل بيئة صالحة ووسط مريح وسرور
- ٣ — يجب ان يخصص للطفل جزء من ايراد والده ووالدته
- ٤ — يجب ان يعنى بالأم قبل الوضع وبعده من الوجهتين الطبية والاجتماعية
- ٥ — يجب ان تساعد الأم وتفضل على غيرها في العلاج بالمستشفيات
- ٦ — يجب ان تصرف الأم عنايتها الى طفلها لمدة ثلاث سنوات على الأقل
- ٧ — يشترط في غذاء الطفل ان يكون كافياً
- ٨ — يجب ان يوضع الطفل تحت ملاحظة طبية دورية
- ٩ — يجب ان تتوفر دور كفالة للاطفال الذين تضطر أمهاتهم الى ان تتركهم وحدهم بعض اليوم وهم دون الثلاث سنوات
- ١٠ — يجب ان تتوفر ملاجئ لايواء الاطفال الذين يزيد سنهم على الثلاث سنوات مدة مرض امهاتهم او فقد من يعولهم
- ١١ — يجب انشاء مدارس لتعليم الامهات العناية بالاطفال — أو على الاقل يجب تدريس ذلك بالمدارس الحالية

١٢ — يجب العناية بالمرضعات والتأكد من خلوهن من امراض معدية او امراض اخرى تؤثر في الطفل او في تربيته، وان يكون لبنها موافقاً للطفل الرضيع وغير ذلك حتى يكفل للطفل الغذاء والصحة والراحة، وان لا يسمح لمرضعة ان ترضع طفلاً الا بعد الاستئذان في ذلك ومن هذا يتضح ان أهم العوامل في انشاء جيل جديد سليم هو العناية بالأسرة وبالمنزل فأساس سعادة الأمة هو سعادة العائلة واستتباب وسائل الراحة بالمنزل . وهذه الوسايا الاثنتا عشرة ليست كلها طبية بل بعضها اجتماعية . ومن هنا يستنتج ان الامم الراقية الآن تعنى بالناحية الاجتماعية أكثر مما تعنى بالناحية العلاجية نحو انشاء المستشفيات . والمستشفيات والعيادات الخارجية وكثرة الأدوية هي طريقة الترقيع والامعاف لا طالة عمر مدته قصيرة كلها مرض او ضعف . ونحن الآن لا نريد ترقيعاً بل نريد انتاجاً سليماً من البداية . نريد صحة



تامة ولا يزيد امراضاً تهدد من كياننا وآلاماً تحرمنا لذة العمل والسكند والحياة ونستعين على تحملها بالعقاقير والمستشفيات. فالملطوب الآن جيل لا يملأ مستشفيات ولا تقترسه الامراض بل جيل يقاوم المرض ، جيل نشيط ، جيل كامل من كل وجهة تلك هي الناحية الاجتماعية الهامة التي ترمي اليها رعاية الطفل وتقصد هذه الرعاية ايضاً الى تدارك أخطار تقع :

١ - اخطار دور الحمل : كم من جنين توفي فأجهضت امه فنتيجة جهلها بالمحافظة على صحتها فالآلاف المولدة من حالات الاجهاض تنجم غالباً عن الاصابة بالامراض وعدم وقاية الأم مدة الحمل كما ان الاطفال الذين يتوفون وقت الوضع يكاد يزيد عددهم على الأجنة المتوفين وأغلب وفيات الوضع نتيجة عدم العناية بالجنين وقت الوضع او سوء استعمال الجفت او غير ذلك. وهناك عامل آخر هام لوفاة الجنين او الطفل الحديث الوضع ألا وهو مرض الزهري . هذا هو السبب في ان مراكز رعاية الطفل تفحص دم كل حامل جديد تطرق بابها . ويؤثر الزهري في الجنين وهو في رحم امه عادة وقد ثبت من نتائج فحص الدماء بمراكز الاطفال ان هناك نسبة كبيرة من المصابات بهذا المرض بين الحوامل الجدد. أما الحوامل القديمات فانهم يكن قد برئ منه في مراكز رعاية الطفل في الحمل الاول ولذلك يقل حدوثه بينهم . وللزهري خطر آخر على حياة الجنين فهو سر اسباب الاجهاض وهذا هو السبب في ان كل مركز رعاية طفل يشدد على الحوامل الجددات في تعرف هل سبق اجهاض أو لا

وهناك أخطار أخرى نتيجة تسمم الحمل مثل الاكلامسيا واللال البولي وغير ذلك مما يؤثر كثيراً في صحة الأم وحياة الطفل . وهذا هو سر فحص البول للزال وقياس كميته وقياس الضغط الدموي في مراكز رعاية الطفل . والنزيف وقت الحمل سبب هام في قتل الجنين وثلاثة ارباع هذه الاخطار يمكن تجنبها وعلاجها . ومن هنا وضع تشخيص الامراض عند الام وقت الحمل وتأثير علاجها الحسن على صحتها وصحة طفلها وصحة الجمهور تبعاً لذلك

٢ - اما اخطار الوضع فكثير منها سهل العلاج والاجتناب . فتغير وضع الجنين في كثير من حالات الحمل قبل الوضع يسهل الوضع ويقلل من مخاطره . كما ان قياس ابعاد الحوض كثيراً ما يرشد الى صعوبة الولادة قبل حدوثها وطريقة علاجها جراحياً . وهكذا يتضح لنا ان من أهم طرق منع وفيات الاطفال وقت الوضع ومدة الحمل هي : أولاً فحص الام مدة الحمل ، ثانياً علاجها علاجاً محكماً ، وذلك ما تهتم به مراكز رعاية الطفل والامومة

٣ - اما اسباب وفيات الاطفال بعد الوضع في هذا القطر فهو النزلات المعوية والمعدية والرئوية والامراض المعدية الاخرى وسوء التغذية وقلة التغذية . والنزلات المعدية وأهمها



الاسهال الأخضر، كثير الحصول صيفاً نتيجة قذارة طعام الطفل او قذارة فيه او سقوط الذباب على فيه . أما النزلات الرئوية فهي نتيجة تعرض الاطفال الى البرد فجأة وعدم العناية بتدفئتهم تدفئة كافية . وأما الامراض المعدية فأهمها الحصبة . لأن الجدري والدفتيرية أصبحت الآن مما يتفادى بالتطعيم وبالحقن

وسوء التغذية سبب عظيم في النزلات المعوية المعدية . لأن الطعام الثقيل والتالف يضران بالمعدة والامعاء ويهيجان أغشيتها المخاطية فيصاب الطفل بشتى العلل ويتضح مما ذكر ان أهم عامل في رعاية الطفل هو الاستشارة الدورية الصحية . ولذلك فقد خصصت أيام الأسبوع لفئات خاصة : فيوم للحوامل الجديديات، ويوم للحوامل القديمات، ويوم للاطفال من وقت الولادة الى الشهر الثالث ، ويوم من الشهر الثالث الى السادس ، ويوم من الشهر السادس الى آخر العام الاول ، ويوم من اول العام الاول الى آخر العام الخامس . وهكذا يعمل المركز ستة أيام ويستريح في اليوم السابع

والمؤكد ان هذه الاستشارة الطبية الدورية في مراكز رعاية الطفل سيكون لها تأثير كبير في طوائف الامة الاخرى من آباء وأمهات وطاعنين في السن، فيعتمد هؤلاء الى استشارة الطبيب دورياً ، شأن اطفالهم وزوجاتهم

فالتردد على مراكز رعاية الطفل انما هو لملاحظة الامراض المبتدئة ودرأ التعرض لبعض العلل من جهة الملابس أو المشرب أو المأكّل أو المسكن أو مهنة الأمهات — وهناك يشير الطبيب على الأم باللازم حتى لا تصاب هي وطفلها بمرض من الامراض المذكورة

وتتلخص الاستشارة الطبية الدورية بمراكز رعاية الطفل في وزن الطفل وقياس درجة حرارته وفحص هيكله العظمي وغدده الليمفاوية وسلامة جلده ونظافة جسمه وحالة رئتيه وقلبه وغير ذلك . أما الام فيحمل بولها ويقاس ضغطها وتفحص رئتاها وقلبها وغير ذلك ويلاحظ ان استمرار الوزن يرشد الى درجة النمو . وقد دلتنا التجربة ان لطول الجسم ووزنه وشكل صدره علاقة ببعض الامراض المعدية ، وان الطبيب الكشف يمكنه أن يصف العلاج الذي يراه لأجل مقاومة الجسم لهذه الامراض

\*\*\*

وهناك مسألة العينين التي تجب العناية بهما لكثرة الرمذ الحبيبي هنا وانتشار قصر البصر الطبيعي . وهذا هو سر اهتمام مراكز رعاية الطفل بهما . وقد شمل هذا الاهتمام أيضاً أسنان الاطفال وميعاد ظهورها وحالتها الصحية حيث اقتضح انها ذات علاقة هامة بالتغذية والاصابة بالزهرى وغير ذلك .



# فلسفة « كَان »<sup>(١)</sup>

في الهند وفي الغرب

نظرة المقارن

- ٢ -

للسيد أبي النصر أحمد الحسيني الهندي

يقول شنكرا ( ٧٨٨ — ٨٥٠ ميلادية ) الذي يعد عبقريته الاستاذ دأسن الالماني مثل عبقرية كانت Kant ، لأن شرحه لاوبانيشاد قضى على البوذية في الهند ، يقول إنه من الممكن أن تُتصوّر — عقلاً — حالتان للعلم : حالة وديا ، وحالة أوديا . ففي الاولى لا وجود في خارج آتمان ، وفي الثانية من الممكن أن نفرض وجوداً خارجياً منفرداً عن المدرك العامل . ولكن هذا الوجود الخارجي من نوع خيالي . ويقول شنكرا في الختام ان العلم الحقيقي علم ينعدم فيه تثليث الادراك والمدرك والمدرك ويقول رامنوج الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي ان من حرف « ايوا » ( أي كَانٌ بالعربية ) يفهم ان استقلال معمولها أو بألفاظ أخرى استقلال الحقيقة الخارجية غير ممكن الادراك<sup>(١)</sup> ثم يقول انه حين ينال روح الفرد توفيقاً من برّما ( أي الله ) يقدر على أن يعرف جميع الاشياء حتى برّما بنفسه

يقول مادهو الذي يحصر الموضوع في سياق أي الحياة بعد المات ، بإمكان ادراك معمول كَانٌ الى حد تبعيته لها وتوقفه عليها وأنه غير ممكن أن يعرف أحدٌ الله الذي هو وجود ذو شخصية والذي يعرف روح الفرد بواسطته جميع الاشياء

قد رأيت مما سبق من بيانات مفهوم « كَانٌ » ان شنكرا يرى انها تشمل نظرية المثال أي نظرية وجود غير حقيقي ، بينما يرى رامنوج انها تدل على ان استقلال الحقيقة الخارجية لا يمكن ان يدرك ، في حين يرى مادهو انها تشمل توقف الحقيقة الايجابي على وجود ذي شخصية . والآن نتحدث اليك عن فلسفة « كَان » عند الفيلسوف الالماني هانز فاي هنجر

(١) وهو رأي يدل على ان رامنوج سبق فيه الفيلسوف الانجليزي الشهير بركلي Berkeley ( ١٦٨٥ — ١٧٥٣ م ) الذي ناشد في فلسفته ان لا وجود لاهداف حواسنا مستقلاً عنا ، وقد استنفذ وسعه وطاقته في اثباته بخاصة في كتابه « المحاورات الثلاث بين هيلاس وفيلونوس » . وهو نفس ما نادى به رامنوج قبله بخمسة قرون : ان استقلال الحقيقة الخارجية غير ممكن الادراك



## الفيلسوف هانز فاي هنجر وفلسفة كان

أظن أنه لم يحل في فكر ياجنسا والكنيا حين وضع فلسفته الكأنية ولا خطر ببال شارحها أنه سيرتفع في تأييدها وتوطيدها صوت من اوربا، بعد مرور خمسة وعشرين قرناً على وضعها. وهذا الصوت هو صوت الفيلسوف الالماني الحاد الذكاء هانز فاي هنجر. أشار فاي هنجر منذ سنين الى أن التعبيرات المثالية أي التشبيهية تستعمل في أربع لغات أوربية هامة للدلالة على طابع الحقيقة الخيالي. ففي اللاتينية رأس ذلك التعبير حرف quasi وفي الفرنسية comme si وفي اليونانية ostei وفي الألمانية als ob ومن الأخير سمي فلسفته Philosophie des Als Ob ولم يكن له نصيب من الاستشراق والالاء لعرف ان حرف «ايوا» بالسفسكريقية و«كوبا» بالاردية والفارسية و«صانكه» بالتركية و«كان» بالعربية تستعمل في نفس المفهوم الذي يستعمل فيه als ob

يرى الاستاذ الانجليزي ولف ان فاي هنجر امتلهم فلسفته من نواح مختلفة، من وضعية كانت Kant التي تحصر العلم الانساني في التجربة ومنفعيته التي ترمي الى تقديم العقل العملي، ومن ارادية شوبنهاور وتشاؤمه، ومن نشوء داروين، واختبارية مل التي تحول الحقيقة الى امكانات الاحساس الدائمة (١)

لكن فاي هنجر يقول لنا غير ذلك وشهادة الرجل على نفسه أصدق من شهادة غيره عليه فقد أبان فاي هنجر في ترجمة حياته التي كتبها هو (٢) أنه امتلهم فلسفته من كانت. فكانت نجمة عظيمة متلالة استنار بها فاي هنجر في وضع فلسفته. وهو يمتأ الى مصنفات كانت المختلفة منوهاً بان التعبير الحقيقي فيها تعبير كأقسي اي خيالي لذلك لا يقدر عنده التعبير المختص بالسكال التصوري، ولا العقلي، ولا التجريبي حتى لا الانتقادي الصحيح على ان يفهم فلسفة كانت تفسيراً حقيقياً بل يجب ان تفسر هي من جهة النظرة الخيالية ان عقيدة كانت في عالمين، عالم التصورات العقلية البحنة Noumena، وعالم التصورات المبنية على الحواس Phenomena يمدنا بأساس يجب أن نبحت فيه عن جرثومة الفلسفة الخيالية او الكأنية. فحين يقول لنا كانت يجب علينا ان نفرض كائن هناك عقلاً خالقاً في العالم (٣) وحين يقول يجب ان نعتبر الارادة كائناتها حرة وان كنا لا نقدر على ان نقول شيئاً في شأنها من وجهة التصورات المبنية على الحواس (٤)، وحين يقول يجب ان يسلك كل رجل

(١) Outline of modern knowledge p. 578

(٢) راجع ترجمة حياته هذه في المجلد الثاني من كتاب : —

(٣) Die Philosophie der Gegenwart in Selbstdarstellung  
Grundlegung zur Metaphysik (٤) Philosophie des Als Ob p. 360  
der Sitten



سلوكاً كأنه عضو من مملكة الغايات التي تعرض فكرة كلية الغايات الكاملة المجتمعة في نظام (١) وحين يقول يجب أن نعد قانون الاخلاق مقدساً كأنه أمرٌ إلهي (٢) وأخيراً حين يقول في نقد الحكم انه يجب ان نفرض كأن هناك عقلاً مدركاً لا يطرأ عليه اي طارئ للتوفيق بين قوانين الطبيعة الخاصة والفهم (٣). كل ذلك ينبئنا باتجاه خيالي بحت سائر في جميع انتقادات كانت. وهذا الاتجاه على ما يقول لنا الاستاذ فاي هنجر هو ملهم فلسفته الكأنية اي الخيالية وهنا نرى كيف ان فلسفة «ايوا» (أي «كآن») لياجنا والكيما تنطبق على تعبيرات كانت الكأنية تمام الانطباق. فمع انه لا يوجد هناك وجود خارجي حقيقي نحن نسمعه يقول إنه يجب علينا أن نفرض كأن هناك أحداً لأجل أعمال الادراك المختلفة. ثم يؤكد أن الحقيقة الوحيدة للآتمان وأما الأشياء الاخرى كلها خيال

يتطرق الى البال سؤال وهو ما حقيقة هذا الخيال أي ما هو معمول كأن الذي نوه به ياجنا والكيما واوماً اليه كانت وأنشده فاي هنجر؟ وما هو طبعه؟ فيقول لنا الاستاذ هايتريش اشمت: ان للخلية على مشكلات الفكر ولا يدرك هدفه يفرض بعض الفروض تخالف الحقيقة او تشتمل هي نفسها على التناقض. فالتصورات الفنية الكاذبة المعلومة التي تكون تلك الفروض هي معمول كأن أو الخيال (٤) ويقول فاي هنجر ان معمول كأن أو الخيال هو الغرض غير الحقيقي مع الشعور به لأجل الاغراض العملية. والفرق بينه وبين الغرض العلمي ان الاخير يمكنه ان يحقق ويثبت ولكن الاول لا يمكن تحقيقه بتماماً (٥). وعليه فالأخير يمكنه ان يكون حقيقياً لأنه قابل التحقيق، ثم إن جميع الاكتشافات تتكون من الفروض العلمية ولكن معمول كأن أو الخيال لا يساعدنا على ان نكتشف ان جميع العلوم الانسانية مفعة بأمانة هذا الخيال. فالعلوم الرياضية والطبيعية والاخلاقية والميتافيزيقية واليونانية والمنطق ليست بخالية من اثره (٦) كل منها يختار بعض الفروض غير الحقيقية ثم يبني عليها بناءه ثم ان طبيعة العلوم في ذاتها مثل الفروض التي تفرزها خيالية. ففاي هنجر ينبئنا كيف يكون تصور النقطة في علوم الرياضة والجوهر الفرد في علوم الطبيعة خيالياً (٧) إذ لا توجد نقطة

(١) Philosophie des Als Ob p. 292 (٢) Watson: Selections from Kant p. 248

(٣) Watson: Selections from Kant. p. 339

(٤) Philosophisches Wörterbuch p. 693

(٥) راجعه في ترجمة فاي هنجر في المجلد الثاني من كتاب: Die Philosophie der Gegenwart in

Selbstdarstellung Robinson: Anthology of Recent Philosophy p. 588

(٧) كان من فلاسفة الاسلام ابن سينا المتوفى سنة ١٠٣٧ م والسهروودي المتوفى سنة ١١٩١ م سينا فاي هنجر في ادراك هذه الحقيقة بخاصة في علوم الرياضة بعد ياجنا والكيما. فكان ابن سينا يعد موضوعات علوم الرياضة من الوهميات (راجع «النجاة» طبع مصر ٩٨) كذلك صرح السهروردي في كتابه «المطارحات» ان مباحثها تنبني على الامور الموهومة (راجع «شرح حكمة الاشراق» طبع طهران ص ٣٥)



حقيقية ولا جوهر فرد حقيقي ينطبق عليهما ما عند تلك العلوم من الحدود لهما . ان التصورات والتصديقات ، والجزئيات والكميات كلها خيالية فالقياس المنطقي من باب الاولى خيالي ، والمادة والعقل خياليان . والجوهر الفرد الحي Monad الذي أثير حوله في الفلسفة نقاش كثير من نوع خيالي أيضاً . وحق الملوك الالهي خيالي وحرب الجميع ضد الجميع التي أظن هابز فيها الكلام خيالية . « والمجرد » الذي يعتبر أعلى الافكار في الفلسفة من نوع خيالي والقيمة والغاية كذلك خياليتان . واللامتناهي والمتناهي في الصغر من نوع خيالي . وجميع النسب المتوسطة ، والأمثلة والرموز خيالية . جميع المقولات ، والتصورات مثل الواجب والالوهية كذلك خيالية . هكذا يشرح لنا فاي هنجر ان جميع العلوم الانسانية متأثرة بمعمول كأن أي الخيال . وهو يقول ان تلك الآثار أو بلفظ آخر تلك الفروض أخطاء ارتكبت عمداً للاغراض العملية . وهنا نرى ان فاي هنجر وافق المذهب العملي النفمي ( راجعنا ) . ولكنه لا يلبث أن يشد عنه حين يقدم في فلسفته فكرة جديدة (١) هي فكرة الحقيقة المزدوجة التي سنخوض فيها بعد

مما لا يحتاج الى بيان انه لو هاش ياجنا والكميا في العصر الحاضر لقدّم لنا هو أيضاً مجموعة الأزهار المتنوعة التي تفتحت على دوحة العلم الانساني في خمسة وعشرين قرناً لاستشهاد فلسفته الكأنية كما قدم فاي هنجر . على اننا نجد حصر مجهوده في قشع الغمام عن العلاقة بين النفس والعين في العمليات النفسية المختلفة بمقتضى الزمان والمكان . فهو يفيض في فلسفته ان الحقيقي الوحيد هو الوجود النفمي ، وأما الوجود العيني فمن نوع خيالي . وهنا نجد فرقاً ذا شأن بين فلسفة ياجنا والكميا الكأنية وفلسفة فاي هنجر الكأنية . فان فلسفة الاخير ارجافية أو حسية على حين فلسفة الاول آتمانية

ثم ان فلسفة فاي هنجر التي وضعت في سنة ١٨٧٦ ميلادية ونشرت أول مرة سنة ١٩١١ ميلادية ، ان أتيح لها ما حاولت وتيسر لها مرادها في أندية العلم والفلسفة بخاصة في المانيا ، لم تخل من سبل المؤاخذة ولا نجت من مطاعن النقد . فقد عجموا عودها وقلبوها بطناً لظهر وسألوا صاحبها : انه اذا أصبحت جميع الأمور الواقعية خيالية فاذا بقي (٢) ؟ فرد عليهم فاي هنجر : ان هناك وجودين يمكن ان يقال فيهما اننا نتأكد حقيقةهما وهما : فيضان الاحساس وقانون المائلة والمخالفة

وهذا الرد وان قدم فكرة جديدة — فكرة الحقيقة المزدوجة — لا يخلو من مراجعة

(١) Robinson: Anthology of Recent Philosophy p. 595

(٢) راجع نقد الاستاذ شلر الانكليزي في مجلة :



نظر . فان علم النفس يقرر ان الاحساس المجرد خيال محض <sup>(١)</sup> فاذا قال لنا فاي هنجر ان فيضان الاحساس هو الحقيقة القصوى فاذا يمنعنا لو قلنا له ان « الفيضان » و « الاحساس » كلاهما خيال

كذلك كان تطبيقه لفلسفته على علم المنطق موضع نظر عند العلماء . فقد صرح الفيلسوف الالماني والبطل العالمي في لعب الشطرنج الدكتور امانويل لاسكر في كتابه « الثقافة في خطر » انه تجاوز في تطبيقه هذا حده فان التصور يمكن أن يستخدم لمعمول كأن أو اخیال ولكن علمه ووجوده ليسا من معمول كأن أو اخیال . فالدائرة البيضاوية في ذاتها ليست معمول كأن . انما الدائرة البيضاوية التي تدور عليها الارض حول الشمس معمول كأن <sup>(٢)</sup> حين ننعم النظر نجد ان لفكرة الحقيقة المزدوجة شأنًا كبيراً في الفلسفة الكأنية . فالحقيقة المزدوجة عند فاي هنجر كما ذكرها بشي من التناقض في ترجمة حياته ، هي عالم الاحساس وعالم المادة وهي فكرة لم يرتج لها اصحاب المذهب العملي النفعي ( براجماتزم ) فناقشوه فيها أشد النقاش لانهم يعتقدون ان جميع الحقائق صنف من الأغلاط وجميع الاغلاط صنف من الحقائق . لان الحقيقة عندهم هي الغلطة الناجحة والغلطة هي الحقيقة الفاشلة . لذلك لا وجود عندهم لثنائية الحقيقة

كذلك كانت فانه اعتقد في حقيقة عالمين : عالم التصورات العقلية المبحثة Noumena وعالم التصورات المبنية على الحواس Phenomena ونشر بذور الفلسفة الكأنية في مصنفاته وفلسفته التقطها فاي هنجر

اما ياجنا والكيافقسم الحقيقة قسمين : قسم أعلى وقسم ادنى . فالأعلى هو عالم التجارب الآتمانية الذي سماه شنكرا « وديا » والادنى هو عالم التجارب الانسانية الذي سماه شنكرا « اوديا » . وعليه ففكرة كانت اقرب من فكرة ياجنا والكياف . غير ان ياجنا والكيافعلن ان حقيقة عالم « اوديا » حقيقة كأنية اي خيالية . واما حقيقة عالم « وديا » حقيقية ، لان الآتمان عليم خالد مصدر جميع الكائنات وأصل جميع التجارب

قد رأيت مما سبق ان اساس فلسفة « كأن » لفاي هنجر ارجائي أو حمي فهي واهية الاسباب ضعيفة القواعد على حين اساس فلسفة « كان » لياجنا والكياف صخرة الآتمان الخالد فهي ثابتة الدعائم مشيدة الأواخي . كلاهما فلسفة « كأن » لذلك يتشابهان ، بيد أن الفرق الأساسي بينهما ذو شأن خطير

W. James : Text-Book of Psychology p. 13 (١)

Die Kultur : Ingefahr Non Dr. E. Laskar p. 14 (٢)



# التعريف والتتقيب

نستحدث هذا الباب ونتبسط فيه إرادة أن نتدبر ما يتصل بقضايا الفكر وما يدخل في شؤون الذوق ، فنجريه إلى غيتين : احداها مراجعة بعض ما يخرج في العلم والأدب والفن ككتابة أو أداء ، والآخرى نشر ما انطوى من الضنائن الخطوطة أو الممهلة . ومقصودنا أن يصبح هذا الباب مرجعاً للمستطلع السائل ومعرضاً للمستبصر الراكن . هذا ويشترك في إنشاء الباب نفر من أهل النظر وأعداء الهوى

بشر فارس



## ﴿ ثلاثة رجال وامرأة ﴾ بقلم ابراهيم عبد القادر المازني

١٣٠٤ × ٢٠ ، ١٦١ ص ، مكتبة مصر ومطبعتها ، القاهرة ١٩٤٣ (١)

تفرّد الأستاذ المازني في معالجة القصص بطابع متميز . ومن ظواهر هذا الطابع طواعة البيان . فأنت إذ تمضي في القراءة تشعر بأن الكاتب غير مجهد نفسه في تصيد لفظ أو تركيب عبارة . وإنما هو فيض يجري عنوبة وسلاسة . وكذلك تلمح في السياق أشتاتاً من الكلمات يحسن الكاتب استعمالها في مواقع جديدة تملأك روعة وتشهد بذوق رائق . وفي تضاعيف الاسلوب روح من الدعابة الخلوقة تنطوي على لون من التهمك المهدّب والسخرية اللبقة . وهذه الروح تذهب في نقد الحياة وتكشف الستار عن ما سبها ، دون أن تشقّ الجروح أو تستدرف الدموع

وقصص المازني ، على وجه عام ، زاخرة بالشخصيات الفدّة . وهو يصورها حيّة نابضة بريشة فنان ماهر ، ويخرجها محببة يأنس الى عشرتها القارئ فيحسّ أنه يخالطها ويطارحها الحديث بلا كلفة ولا وحشة . ولا يُغفل كاتبنا حين يرسم شخصياته أن يسترسل في عرض الخطوط التي تثير الفكر

وقد اجتمعت هذه المزايا مكملة في كتاب الامتاذ المازني الجديد الذي أخرجه « لجنة النشر للجامعيين » وأعني به « ثلاثة رجال وامرأة » . وهو قصة قائمة على التحليل الدقيق لجملة من الشخصيات الطريفة التي لها بالحياة الانسانية والنفس البشرية — دون التصاق بلون محلي ساطع — أوثق الوشائج والصلات

ومن الجمع بين هذه الشخصيات يتوضح موضوع القصة وما يقصد اليه مؤلفها . فالبادي للقارئ أن هذه القصة ليست ظاهرة الحبكة الروائية التي ألفها في مقروءاته من القصص الناهجة منهج الاتباعيين . ولكن الامتاذ المازني يضع قصته تلك على أسلوب مستحدث من القصص الفني لاحتّ بواكيره في الأدب الغربي منذ عهد قريب ، ولم يغزُ بعد أدبنا العربي كل الغزو على نحو غيره من مذاهب القصص . فلما سناذ المازني بهذه القصة مزية تقرب ذلك النمط الجديد الذي يقوم على عرض الشخصيات وتحليلها أبعاد تحليل ، وبث الخواج النفسية ، والتعبير عن شتى النزعات الانسانية ، ولا يعنيه الموضوع المحموك في قلبه الروائي



الأصيل أكثر مما يعنيه تصوير الشخصيات وبسط الخواطر والآراء الجديرة بالنظر والفهم . فالمازني في كتابه الجديد من الرواد المقدمين ، يطرق مذهبا من مذاهب القصص لم يفتحه إلا الأقلون من أدبائنا المحدثين

محمود تيمور

### الصدّيقة بنت الصدّيق \* بقلم عباس محمود العقاد

١٤ × ١٩ ، ١٤٩ ص ، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، ١٩٤٣

إن المؤلف يمهر في تناول الجزء . فهو مفصّل بصير ، وكذلك كان يوم كتب في « عبقرية محمد » . واني لأردد هنا ما قلته في ذلك الكتاب <sup>(١)</sup> . والقول انه كان في الحسبان ان يعدل المؤلف عن التحليل الى التركيب ، فيسوق سيرة الصدّيقة بحيث تشع من جنباتها أنوار الفضل ، كما يصنع الكتاب الافرنج ، اذ يعرضون لسير العطاء ، فعلى هذا النحو ألف E. Ludwig و S. Zweig و A. Maurois وأضربهم . ومما ينعطف اليه المفصل المجزأ أن يضع حقيقة من حقائق النفس البشرية ثم يجري اليها أعمال البطل أو البطلة (الأنوثة ، والغيرة ، مثلاً : ص ٣٣ ، ٤١) على حين انه في طريقة التركيب يشرق مثل تلك الحقيقة من خلال العزمات والانفعالات والحركات ، ولا رسم لجريان المرد

\*\*\*

كنت كتبت في « عبقرية محمد » : « أن المؤلف ولج الموضوع من باب مستجد ، وهو باب نفسيّة النبي العربي ، فأراد بما كتب ان ينفذ الى روح النبي فيستشف لطائفها على اختلاف ألوانها » . وها هو ذا يطرق الباب عينه في الكتاب الذي بين يدي وموضوعه سيرة السيدة عائشة . ومن محاسن هذه الطريقة ان المترجم مهما يعظم ويخطر ينزل منزلة الانسان . فالسيدة عائشة ، على فضلها ، أنثى تامة الأنوثة : تغار وتفرط في الغيرة حتى إنها لتدب بين احدي ضرائرها والرسول ابتغاء الاستئثار به (ص ٣٣) ، ومن ذلك أنها ذات حدة طيبة (١٣١) ، وانها ظلت تحمل الحقد لمن نصح للرسول أن يطلقها (١٣٢) ، وأنها مالت الى ذوي قرباها في أمر الخلافة (١٣٣)

تلك مزية في الانشاء الذي يتناول موضوعات قد تحرف المنشئ الى التمجيد والنفخيم إطلاقاً ، بدلاً من اختبار كنه النفس الفياضة بالاحساسات البشرية الصادقة الصافية



غير ان هذا الضرب من الانشاء ربما كان مساقاةً الى حديث يغلب عليه منطق الدفاع ، وذلك ما انجذب اليه المؤلف لما عرض لقصة الافك ، فاجتهد في الجدال — وهو لصناعته حاذق — فأيد مذهبه بشواهد المعقول ونصوص المنقول . وربما لجَّ في استخراج هذه ، وأبعد في استنباط تلك ، حتى انه يعمي في مدارج المجاذبة والمدافعة مدرهاً لا باحثاً :

من ذلك انه أوَّل شكوى امرأة صفوان بن المعطل — وهو بطل حديث الافك عند المرجفين — تأويلاً متزيّداً فيه ، ثم استند لأجل دعمه الى خبر لا ندري ما يكون . وتفصيل ذلك ان المؤلف نقل أن امرأة صفوان « شكته الى النبي لأنه ينام ولا يصلي الصبح قبل طلوع الشمس » ثم زاد « وقد يحسن هنا أن نوجه شكوى امرأة صفوان الى بعض معانيها . كأن أردت بثقل النوم كناية عن امر آخر لا تفصح عنه . إذ قيل عن صفوان هذا انه كان حصوراً لا يأتي النساء ... » ( ص ٩٦ )

والذي عندي أن ليس وراء شكوى امرأة صفوان تعريض ، وليست حروف الشكوى بفارقة نحو الكناية ، ولو كانت فارقة لكان النبي الزكن فطن للامر فما قال لصفوان على جهة التصريح : « اذا استيقظت فصل » إذ عقب صفوان على شكوى زوجه يعنذر قال : « اني امرؤ ثقيل النوم لا أستيقظ حتى تطلع الشمس » <sup>(١)</sup> . وأما قصة « الحصر » فليست بالحجة القاطعة . فالذي في سيرة ابن هشام <sup>(٢)</sup> ان عائشة انما كانت تقول لقد سئل عن ابن المعطل فوجدوه رجلاً حصوراً ما يأتي النساء . وفي « السيرة الحلبية » <sup>(٣)</sup> انه ذكر ذلك من غير إسناد . وأما صاحب « أسد الغابة » <sup>(٤)</sup> وهو جماع وثيق فلم يرو شيئاً من هذا . ثم ان « الحصور » لا يأتي النساء إما لعفة فيه حابسة وإما لعنة ، والعلة الاولى هي الظاهرة في معنى « الحصور » الذي ورد في القرآن (سورة آل عمران) <sup>(٥)</sup> . ثم أضف الى هذا الاستدلال الخبري واللغوي أن الذي ذكر عن صفوان لو كان امراً مقطوعاً به مسلماً ما انبث حديث الافك

ومن هذا الباب ان المؤلف يدفع قصة الافك بقوله: « على الذي يقبل وشاية كتمان الوشاية الواهية أن يروض عقله على تصديق أمور كثيرة لا موجب لتصديقها ... عليه أن يصدق

(١) « السيرة الحلبية » ط القاهرة ١٢٨٠ ج ٣ ص ٤١ (٢) ط القاهرة ١٣٤٦ ج ٢ ص ٢٠٩

(٣) ج ٣ ص ٥١ (٤) ط القاهرة ١٢٨٠ ج ٣ ص ٢٦ ي (= مايلها)

(٥) « مفردات الراغب » مصر ١٣٢٤ ، ص ١١٩ — ط أيضاً « تفسير البضاوي » القاهرة



أن صفوان بن المعطل كان رجلاً لا يؤمن بالنبي ولا بأحكام الاسلام ، وأن يصدق ان السيدة عائشة كانت — وهي زوج النبي — لا تؤمن به ولا تعمل بدينه « (ص ١٠٢) . والذي أراه ان هذا الاستدلال مجتلب بل محض ذاتي ، وذلك لأننا نعلم من طريق المشاهدة والملاحظة أن البشر يتفق لهم أن يزكوا وان كانوا من أهل التصديق والايان ، ولولا هذا ما احتاجوا الى رب « تواب » . وان أنت جازيت المؤلف في منطقته قلت : « كيف تؤمن عائشة بالنبي وتنزل عند أحكام الاسلام ثم تساهم في صوغ قصة المغاير (ص ٣٣) لتستدرج الرسول الى قطع احدي زوجاته ؟ ليستفسر القارئ النساء عن كل ذلك ، فانهم على علم كثير وكيفما كانت الحال فان قصة الافك لا تحتاج الى مثل ذلك الاجتهاد . وحسب الباحث المحدث أن يقول ما قاله المؤلف بحق في أول كلامه على تلك القصة : « تلك شبهة لا تكفي للشك في امرأة من عامة المسلمين . . . إذ لو كانت كل امرأة تتأخر في الطريق تؤخذ بالتهمة في دينها وعرضها لكانت التهم في الأعراض أهون شيء يخطر على بال » . وللمؤلف أن يردف هذا بما يسميه علماء التاريخ « النقد الداخلي » critique interne ومداره تحري الصحيح من المروي رغبة في تبين أخلاق عائشة وصفوان . فسيرة الصديقة في أيام النبي وبعده تبدو فوق الشبهة (١) . وأما سيرة صفوان فزينة بشهادة الرسول نفسه إذ قال : « وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي » (٢)

على أن المؤلف لم يُبعد هذا الابعاد إلا في النادرة (٣) . وله فصل حسن في « السياسة العامة » التي انتهجتها الصديقة، ولعله خير ما في الكتاب ، ولعل السبب في ذلك ممارسة المؤلف لفن السياسة في حرفة الصحافة . والفصل يدور على واقعات صحيحة عُللت وبيّنت في دقة ويُسر

ثم انني لا أشك في أن المؤلف ما أراد أن يولج كتابه في جانب العلم الصّرف لذلك ليس لنا أن نطالبه بذكر المصادر . غير أن القارئ المستطلع كان يود لو أثبت المؤلف طائفة من المراجع، إذ هناك أخبار وأحاديث قد يحلو للقارئ أن يذهب الى مظانها مستفيداً أو مستثبناً ، ولا سيما انه بدا للمؤلف أحياناً أن يكثر النقل (ص ٤٠ ، ٦٣ ، ٩٥

(١) بذلك استمسك المستشرق Muir ص ٩٢ (٢) البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء . . . وفي « أسد الغابة » ج ٣ ص ٢٧ : « منه » بدلاً من « عليه » (٣) أبعد أيضاً في ص ٢٥ ، فالذي جرى هناك امر طبيعي : الاب العربي يؤدب ابنته اكراماً لزوجها وارضاء ، فيواسيها الزوج مكتفياً . هذا وفي أعمال النبي منفسح للامثلة الجلية على رأفته بأهله



مثلاً). من ذلك ان المؤلف قال في بطل قصة الافك : « انه ما كشف عن كنف (بالتاء) امرأة قط » ص ٩٦ . والذي في « السيرة الحلبية » <sup>(١)</sup> عن البخاري « انه ما كشف كنيف امرأة قط أي سترها لان الكنيف الساتر » . والذي قرأته في صحيح البخاري نفسه <sup>(٢)</sup> عن عائشة أيضاً : « والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل ( تعني صفوان ) ليقول : سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف اثني قط » . وفي « نهاية » ابن الاثير <sup>(٣)</sup> : « ( وفي حديث الافك ) ما كشفت من كنف اثني »

هذا وربما ساق المؤلف الخبر الواحد او الحديث الواحد في لفظين مختلفين ( ص ٢٥ ، ٣٣ - ٥٣ ، ٧١ - ٦٧ ، ١٠٠ ) . فلم لا يرسله القارئ في تنقله ؟ بل ينبغي للقارئ ان يرسله في مثل تحقيق من عائشة ، ولا سيما ان المتواتر والذي عليه الجمهور ان عائشة تزوجها النبي وهي بنت ست سنين وأدخلت عليه وهي بنت تسع <sup>(٤)</sup> . فانك لترى المؤلف يرجع ان عائشة ولدت في السنة الحادية عشرة او الثانية عشرة قبل الهجرة ، « فتكون قد بلغت الرابعة عشرة من عمرها او قاربها يوم بنى بها الرسول » ( ص ٤٥ ) ثم تراه يروي حديثاً لها مستشهداً بلفظه على اسلوبها المرسل السهل ، وحروف هذا الحديث : « تزوجني رسول الله وأنا ابنة ست سنين... فأسلمتني اليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين » ( ص ٥٧ ) ثم تراه يسوق شهادة جاريها بريرة وهي تصفها في « السنوات الاولى من زواجها » فتقول : « كانت جارية صغيرة اعجن العجين وأمرها ان تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله » ( ص ٦٧ ) . يسوق المؤلف هذه الشهادة ليدل على عبث عائشة البريء ثم يوردها ثانية ( ص ١٠٠ ) ، ليستظهر بها على القائلين بالافك الذي جرى حديثه في غزوة بني المصطلق وتاريخها يرجع بين السنة الرابعة والسادسة من الهجرة

فاذا جمعنا كل ذلك بعضه الى بعض خرج الينا هذا :

١ - يستشهد المؤلف بلفظ حديث لعائشة ويسقط مدلوله في آنٍ

٢ - تنام عائشة عن العجين ، فتأكله الشاة ، وهي ابنة ست عشرة سنة او اكثر (١٢) قبل الهجرة وهي سنة ولادتها بحسب المؤلف + ٤ بعد الهجرة وهي سنة الغزوة على ادنى تقدير - أو : ١٤ أي منها يوم زواجها بحسب المؤلف + « السنوات الاولى من زواجها »

(١) ج ٣ ص ٥١ (٢) كتاب المغازي ، باب حديث الافك (٣) مادة ك ن ف (٤) عن البخاري ومسلم وابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي وابن حنبل وابن سعد وغيرهم . واطلب المظان في « مفتاح كنوز السنة » وضعه المستشرق فنسك وترجمه محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٩٣٤ ص ٣٢٠



على حدّ تعبيره . كيف يكون ذلك ؟ بل كيف تكون عائشة « جارية صغيرة » ، على نحو ما وصفتها بريرة ، وهي ابنة ست عشرة او فوق ذلك ، والفتيات العربيات كنّ مبكرات النضج ولا يزلن كذلك ؟

ومن المسلمّ به ان تباعد الروايات في كتب السلف مجلبة للحيرة . ولكن المؤلف يختار ويرجح كما قد رأيت . فيحسن به الثبات على رأي يراه ، فلا يكتب في ص ١٠٨ « عاشت السيدة عائشة بعد النبي سنّاً وأربعين » ثم يكتب بعد صفحتين اثنتين « فعاشت في صحبته زهاء عشر منين وعاشت في ذكراه زهاء خمسين سنة » ، فهأنا انفلات من ذلك الجزم . ومن هذا الضرب قوله في ص ٧٨ « فعائشة البكر قد مات عنها عليه السلام وهي دون العشرين » <sup>(١)</sup> ثم كأنما ريب طارئ داخله فيقول في ص ١١٠ « كانت عائشة في اوائل العقد الثالث على اكبر تقدير عند وفاته » . فالظاهر أن المؤلف يجري الخبر أو الحديث الواحد على حسب العطف الغاية التي يقصد اليها في هذا الفصل أو ذلك ، والنية سليمة

\*\*\*

بقى أن المؤلف حسن له ان يعمل للكتاب مقدمة وخاتمة . فالمقدمة في المرأة العربية قبل الاسلام ، والخاتمة في حقوق المرأة . وفيهما من غزارة المادّة ما يشقّ أبواباً للنقاش والاستدراك . فهل أدعو المؤلف الى مراجعة أمر الوأد في الجاهلية ؟ إذ له أوجه غير التي ذكرها ، يصيبها في كتاب « العرض عند عرب الجاهلية » ( باريس ١٩٣٢ ص ١٢٤ ي ) <sup>(٢)</sup> . وفي هذا الكتاب أيضاً ما يدل على أن العرب ما كانت تجري في شؤونها على « الارتجال » — على ما يذهب اليه المؤلف في المقدمة — بل كانت لها أحكام وسنن منتظمة ، غير مسطّرة ، لما قوة الفرض ومن خلفها جزاء معنوي . ولتجدنّ جملة ذلك في مادة ع رض من ذيل

(١) على هذا الحساب الجديد تكون عائشة قد أدخلت على النبي وهي دون العشرة — أضف هذا الى ما ورد في متن الصفحة السابقة عند الكلام على تحقيق سن عائشة

(٢) قال المؤلف « وربما ظن بعضهم ان الوأد كله من مخافة العار . . . فالعرب وجد فيهم من يشد البنات اشفاقاً من النفقة » ص ٧ . فان ظن أحد هذا ( ١ ) فانما الاقدمون من مفسرين وأخباريين يذكرون ما ينهبها المؤلف اليه ، ولا حاجة بي الى سرد المراجع ، فالامر مشهور . حتى المستشرقون وعلماء الاجتماع ذكروا ذلك ، مثلاً :

Robertson Smith, Kinship and Marriage in early Arabia, 2d edition, London 1903, p 291 . ثم Westermarck, L'origine et le Développement des Idées Morales, trad.fr., Paris 1928-9, I, 414



دائرة المعارف الاسلامية الخارجة في ليدن بثلاث لغات اوربية

واما الخاتمة فقد ذكرتنا بخطبة كان القاها شبلي شميل ونشرتها المقتطف سنة ١٨٨٦ (١).  
ففيها ايضاً ان الفرق بين الرجل والمرأة من اصل الفطرة والطبيعة ، وفيها (ص ٩٧)  
« أن الرجل والمرأة إن تجاريا فالسابق السابق هو ، وهل يبلغ الظالع شأو الضليع »  
او كما ورد في خاتمة كتاب العقاد (ص ١٤١) « ولكن المرأة لا تبلغ شأو الرجل في هذه  
الصناعات اذا وقعت المزاومة بينهما في إحداها ». حتى مسئل تبرز الرجل على المرأة في « الطبخ »  
او « الطهي » نُصِيبه في الكتابين جميعاً (شبلي ، ص ١٠٣ ، العقاد ، ص ١٤١)

على ان هذا الرأي الذي رآه فريق مشهورون من فلاسفة الغرب ، مثل شوپنهاور  
ونيتشه ، ان صدق سنة ١٨٨٦ فهو محل مراجعة اليوم وقد أفلتت المرأة من الوثاق الذي  
شدناها به دهرأ ودهرأ . ولقد كتب في القضية النسوية الشيء الكثير ودار ما دار .  
غير أنني أحب ان اذكر المؤلف ان النساء شاركن الرجال في فن الغناء بالشام والعراق  
وبالاندلس ، وبهرتهم احياناً ، وكثيراً ما طارحهم وخرجتهم ، وحسبهم ان الامام  
اسحاق بن ابراهيم الموصلي « مكث سبع سنين يختلف الى عاتكة بنت شهدة في كل يوم  
فتضاربه ضرباً أو ضربين » (٢) و « كانت أحذق الناس بالغناء » (٣) . ثم اني أحب ان  
أذكره — فوق هذا — أن Isadora Duncan الاميركية ابتدعت في المائة التي نحن فيها  
ما لم يخطر ببال رقص . وعلى هذا قس ما جاءت به في هذا العهد K. Mansfield  
و V. Woolf في القصص الانجليزي ثم M. Laurencin و S. Valadon في التصوير  
الفرنسي

ذلك طرف من باب الفن الخالص ، وأما باب الصناعة فخلّ الطنافس الايرانية والتركية  
والارمنية — وما أحلاها ! — من نسج المرأة الصانع . وأما التريض مثلاً فما إخال الرجل  
يجرؤ على أن يطاول المرأة فيه ، الى غير ذلك من الأدلة التي يسهل الملاحظ observer في  
الغرب على وجه التخصيص . لذلك لا يحسن إطلاق الحكم وجزمه في موضوع دقته كهذه .  
فالمستحسن بل المرغوب فيه أن يتحرز المؤلف هنا فيستنطق التحريات والاجتماعات ، ويوازن  
بعضها ببعض ، على اختلاف حركات الحس والارادة والذهن ، وإن كان أكثر الحق بين يديه

(١) انظر ايضاً الجزء الثاني من « مجموعة شبلي شميل » مصر ١٩٠٨ ، واليه ترجع الصفحات هنا

(٢) الاغاني ط بولاق ج ٦ ص ٥٧ (٣) عن ابن خرداذبه : الاغاني ج ٢١ ص ٢٢٦



في النهاية . ذلك نمط علماء النفس الذين يتناولون مسألة الفرق بين الرجل والمرأة <sup>(١)</sup>

والمؤلف أحكام أخرى قاطعة شاملة قائمة على آراء نسميها في صناعة الفلسفة « قبيلية »  
 و <sup>a priori</sup> (٢) . فعلم الاجتماع الحديث يخبرنا — ونحن في ص ١٤٠ — بأن هناك أمماً تظهر  
 فيها المرأة بما لا يدور في أذهان بعضهم . ولك أن تراجع لأجل ذلك حتى المرحوم شبلي شميل  
 ( المجموعة المذكورة ) وأن تراجع خاصة Westermarck المذكور في حاشية سابقة ونظراءه  
 من علماء الاجتماع <sup>(٣)</sup>

\*\*\*

وأما أسلوب الكتاب فعلى انسياق بل اندفاق ، في حسن تصرف ، ولطف بيان قد  
 انسجبت في ثناياه برفق مسحة من البلاغة التي في كتب السلف المنقول عنها ، كل ذلك مع هداة  
 الثابت الذي لا يشغله الطفر . والأداء لا قلق فيه ، والعبارة سليمة ، وإن وقفتني أشياء طفيفة  
 معدودة مما يجري ، فيما أعلم ، على أفلام المولدين ( وكلنا على تلك الحال ) . ودونك بعضها :  
 ص ٢٦ — « آداب العرب النسائية » . فقد نبّه سيبويه على أن النسبة إلى نساء  
 « نسوي » ( « الكتاب » ط بولاق ١٣١٦ ج ٢ ص ٨٩ )

ص ٣٥ ، ٨٢ — « حرماً من كذا ، حرمانها من كذا » . والمدوّن : « حرمت زيداً  
 كذا أحرمه من باب ضرب ، يتعدى إلى مفعولين » عن « المصباح المنير » مادة ح ر م ، ثم  
 وازن غيره به

ص ٦٩ — « النسوة الاحدى عشر اللواتي » ولعل فرار هاء « عشر » من فلتات الطبع  
 ص ٨٨ — « إذا هي ( الاسرار ) تعلقت بعطاء الرجال وعطاء النساء » . فلولا « عطاء »  
 الثانية لسلم النطق واستأنست العبارة بالآية « ... وكانت من القانتين »

(١) مثلاً : Campbell, Differences in the nervous organisation of man and woman, London 1891

وفي هذا الكتاب أن البلاهة في الرجال أكثر منها في النساء . وانك لتصيب جملة ذلك في :

Heymans, La Psychologie des Femmes, Paris 1925

(٢) اطلب في « مباحث عربية » القاهرة ١٩٣٩ ص ١١٠ معنى « الرأي القبلي »

(٣) حتى في بلد إسلامي ، في مملكة محمد خالد أوزبك بالقوقاز ( عن رحلة ابن بطوطة ، ط التقدم ، مصر  
 ١٣٢٢ ج ١ ص ٢١١ ، ٢١٢ ) « أن النساء أعلى شأنًا من الرجال ... وربما كان مع المرأة زوجها  
 يوظفه من يراه بعض خدامها »



ص ٩٣ — « الاختلاف يتراوح بين السنة الرابعة والسنة السادسة ». فالتراوح خلاف هذا، كما بين من قبل الامام اليازجي، واليوم الكرمل في مجلة المجمع العلمي العربي، والعوامري في مجلة مجمع اللغة العربية الملكي. وانما غرض المؤلف « يترجح » كما سطر فوق، أو يتذبذب، أو نحو ذلك

ص ١١٧ — « تنكر عائشة التزيد من الثراء على الصحابة ». والمذكور في دواوين اللغة « التزيد في الشيء » أي تكلف الزيادة فيه وبعد فعله بين يدي الاستاذ العقاد ما لا يمتد إليه اطلاعي

بشر فارس

﴿ قنابل ﴾ مسلاة مصرية في ثلاثة فصول ، بقلم محمود تيمور

١٢ × ١٦ ١/٢ ، ١٨٩٠ ص ، لجنة النشر للجامعيين ، القاهرة ١٩٤٣

منذ عامين تقريباً نشر الاستاذ محمود تيمور مسرحيته « الخبأ رقم ١٣ » وقد عالج فيها النفس الانسانية وكيف يقوى فيها الشعور الديني عند وقوع الخطر واشتداد الكرب فتتمسك بأهداب الفضيلة حتى اذا ما بدأت ظلمة الكروب تنقشع بدأ الشعور الديني والتظاهر الخلقى في التواري شيئاً فشيئاً

واليوم ينشر مسرحية جديدة هي « قنابل » تمت الى مسرحيته السابقة بصلات منها المعين الذي استقى منه المؤلف مادة المسرحيتين ، وهو الحرب وويلاتها وما مر بهذا البلد فيها من فترة كانت أشد الفترات قتاماً وحيرة وتشاؤماً وفزعاً ، الى جانب صلة الوحدة في فن تيمور القصصي من اطلاع على الروح المصرية في حالة الفرح أو الحزن والاضطراب أو الاستقرار ، ومن اهتمام بالأشياء الشاذة في المحيط الذي ينقل منه مسرحيته ، ومن ادراك للأحاسيس التي تجول عادة في نفوس الناس وقد تنفق أو تختلف في نفس واحدة تبعاً لظروفها وملابساتها ، ثم صلة أخيرة هي الروح الفكاهة الذي أضفاه المؤلف عليهما

ولكن هناك وجوهاً من الاختلاف بين المسرحيتين في الفكرة والجو وفي لغة المسرحية . فهو يطلعنا في المسرحية الجديدة على حيرة النفس الانسانية بين غريزتها في حب الحياة وما فرضته عليها عقيدتها وإيمانها بالقدر فرضيت أن تتظاهر وراء العقيدة بما تقزع منه الغريزة ، ولكن هذه غلاظة ، فتلجأ الى دعاوي أخرى تستر بها فزعها . فنرى أبطال المسرحية يفرون من المدينة ، عند اشتداد الغارات الى الريف ، بدعوى الحرص على اصلاح



الريف والاشراف على الضياع حتى اذا وجدوا الموت الذي فروا منه كامنًا لهم في الريف ، في حوادثه واضطراب الأمن فيه ، وفيما يتفشى من أوبئة ، عادوا الى المدينة بدعوى غير الاولى هي دعوى مشاركة اللعب فيما يقاسيه من آلام

هذه هي فكرة المسرحية الجديدة التي عالج بها الاستاذ تيمور حالة من حالات النفس الانسانية في حيرتها بين الايمان والخوف ، وهي حيرة يتخللها الفتور بسبب تلك الفكرة ، ومدارها مفاز النفس مما ليس يبعث في الموضوع الحركة وفي الوجدان الوثبة الجائشة . وأما جوها فهو أرحب من جو مسرحيته الاولى الذي جعل حوادثها كلها تجري في محباً . وأما لغة المسرحية الجديدة فهي الفصحى وكانت في الاولى العامية . وقد صُدّرت مسرحية « قنابل » بمقدمة تحليلية غزيرة كتبها الفنان الامتياز كي طليمات

حسن كامل الصبر في

﴿ معجم الالفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية ﴾ بقلم مصطفى الشهابي

١٧ × ٢٤ ، ٧٧٤ ص ، مطبعة الجمهورية السورية ، دمشق ١٩٤٣

﴿ ميزات الكتاب ﴾ ما من أحد من قراء العربية يحجل اسم الامير الاستاذ مصطفى الشهابي فشهرته معروفة بما وشى به المقتطف ومما بنّاه على صفحات مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق ، وكان جمهور أبناء مُصَرّ يتمنون أن يروا بين أيديهم هذا المعجم النفيس الذي كان يذكره كثيراً في مقالاته المحجّلة . وقد امتاز هذا المعجم بأشياء كثيرة لا ترى في طائفة من هذه المصنّفات ، ونحن نسرّد للقارئ بعض هذه الميزات :

احداها : انه تُرى جماعات جماعات من الالفاظ المعربة تعريباً لا أمت فيه ولا إعوج ويردّها بما يبينها لمن لا يهتدي الى معناها . فيقول مثلاً :

Abélie ( آبلية بالمد وكسر الباء ) ( سميت باسم أحد الأطباء . جنس جنبات للترزين ، من فصيلة الحمانيات ، أصلها من الشرق الأقصى وتزرع بعض أنواعها لجمال زهرها )  
Abronia رشيقة ( الاسم العلمي من اليونانية بمعنى الرشاقة ، لرشاقة أزهارها . جنس زهر من فصيلة الشبّيات )

( Abre ) Abrus نخيلة ، أبروس ( الاولى ترجمة الاسم العلمي والثانية معربة . جنس نباتات من فصيلة القحطانيات ، فيه أنواع للترزين )



A. Precatorius عصبية السوس . بِسَلَى أميركة (مترجمتان . وسماء الدكتور احمد عيسى « حب العروس ، وششم ، وفلفل » ، على حين ان كلاً منها نبات غير هذا النبات . وسماء عيون الديك . قلت : لعله عيون الديكة المذكور في المفردات . وهو جنسية تستعمل جذورها كعرق السوس ، ولها بزور حمر لامعات ، على كل منها نقطة سوداء يصنعون منها عقوداً وأساور للاولاد )

فالقارئ يرى من هذا الكلام الموجز ان المؤلف كتب : بسلى كقيرلى وهي الكتابة الفصيحة ، وكثيرون يكتبونها « بسلة » بهاء في الآخر وهو غير صحيح . وانك لتجد في هذا السفر الجليل طائفة لا تعد من مثل هذه الاسماء الحديثة الوضع ، لكن على أساس متين لا يتزعزع ، وذلك الى آخر ما دونته فيه من هذا القبيل

والمزية الثانية انه يحكم الوضع بما يقابل الكلمة الفرنسية احكاماً دقيقاً . فقد قال مثلاً في :  
Acacia Glaucophylla سنط أحوى (داحية في الين ، وقلت : أحوى ، بتصرف)  
وقال في A. Cyanophylla سنط مزرق الورق (ورقه الى زرقه ، وهو صالح للترزين وللارض اليابسة)

فانظر الى دقة الوضع في التسميتين ولم يكنف في الاول باللفظ اليماني ولم يقل في الثاني سنط أزرق لأن الأزرق غير الزرقه ، وما أكثر من لا يميز الشيء الواحد عن الشيء الآخر والمزية الثالثة أن المؤلف لا يدون في تأليفه إلا ما تحقق وجوده في كلام الفصحاء ، فان شك أظهر شكك بلا توقف . راجع مثلاً ما وضعه بازاء Acer تره يقول : « قَيْقَب . جرم مشق ( القيقب في اللسان والتاج : الآزاد درخت بالفارسية . وهذه الكلمة تطلق على ما نعلم على Melia azedarach ، لكن القيقب أصبحت تدل اليوم على هذا الشجر ، أي على جنس Acer أما الجرم مشق فلم أجدها إلا في معجم دوزي نقلاً عن كتاب ألفه لاين<sup>(١)</sup> في المصريين . قال فيه : أظن ان الجرم مشق هو Erable جنس أشجار وجنبات حرجية وتزينية من فصيلة القيقبيات ) — فانظر الى هذا التحقيق ، الدقيق ، ومن الأسف أراني اليوم بعيداً عن خزانتى البغدادية . وأظن ان أول من ذكر الجرم مشق هو فريغ الألماني في معجمه العربي اللاتيني ، وأظن أيضاً ان صاحب محيط المحيط نقلها في ديوانه من دون ان يشير الى المصدر الذي اخذ عنه ، وقد أ هم

(١) نطق الاسم : راين Lane ، وكتابه : Man. and Cust. of the Mod. Egypt. (ب. ف)



ومما استحسنناه كل الاستحسان في هذا الديوان الجليل كتابة « اسيتاة ، وخلاة ، وسلفاة ، وكبريتاة » ونحو هذه الحروف بالهاء في الآخر ، وهو أول من اتبعنا في هذا الرسم وهو اللازم . وأما كتابتها بالتاء المبسوطة فغلط واضح ، لأنها ان كتبت بالتاء ، دلت على الجمع السالم لاسمية ، وخلة ، وسلفة ، وكبريت وكبريتة ، الى نظائرها . وأما المعارض على ان خلاة مثلاً يوقف عليها بالهاء فنقول له : ان هذه الألفاظ يسكت عليها بالتاء لا بالهاء وذلك واضح من عجمة صيغتها ، وعجمة تركيبها . فقد جاء في اللسان في مادة ( م ن ي ) ما نصه : « وفي التنزيل العزيز : ومناة الثالثة الأخرى . والهاء للتأنيث ويسكت عليها بالتاء وهو لغة ، والنسبة اليها منوي » اهـ . ( ومناة ، الصم العربي الانثى لفظ يوناني لانه كان يرص اليها بصورة قر ، ومعنى مناة : القمر ، بلغة الهلنيين )

\*\*\*

﴿ ما نظنه وهما في نظرنا ﴾ ان المؤلف العلامة ذكر في معجمه اسماء كثيرة من الحيوان والطيور ، والحشرات والهوام وربما استعجل في نقل بعض الاسماء من غير مراجعة بعض تأليف أرباب الفن أو الاختصاصيين . فقد ذكر Putois d'Afrique ووضع بين يديه : ابن عرس ( ج : بنات عرس للذكور والاناث . وتطلق أيضاً على الحيوان المسمى Belette وهما من جنس واحد . حيوان من فصيلة السموريات ) . والمشهور عند العلماء ومذكور في أغلب المصنفات في هذا الموضوع ان ما سماه المؤلف ابن عرس هو الظربان . وهو مشهور في مثل عربي يذكره أرباب المعاجم العربية . أما المؤلف فجعل الظربان مقابلاً لما يسميه الفرنسيون Ictomys ووضع بازاء Mouette ظربان اميركي . فهذا الوضع صحيح دون الذي قبله

ووقع له مثل هذه السكلم المتشابهة بالعربية وبازائها اسماء فرنسية غير متشابهة للسكلمات الآتية : Chouette, Duc, Effraie, Hibou, Moyen duc, Petit duc, Grand duc وهذه لم تذكر في محل خاص بها ، بل في مادة Duc . وفي العربية ألفاظ خاصة بكل من هذه البوم الكثير لا أمكن من ذكرها هنا ، لاني بعيد عن كتي ، التي هي في بغداد . ولعلي أعود الى هذا البحث ، حينما أعود الى وطني بعد حين

\*\*\*

﴿ ما نتمنى ان يكون في هذا المعجم ﴾ نتمنى أولاً ان يعاد الى العربية ما كان أصله في هذه اللغة الشريفة . من ذلك : Addax . فقد وضع لها المؤلف السكلمة مهاة . وهي على الحقيقة ( عَدَاء ) من العدو . وهي غير موجودة في بلاد العرب بل في ديار الاندلس — على



ما أتذكر — والعداء من وضع عرب الاندلس وقيل لي انه موجود في جزيرة العرب وكذلك Chamois فقد وضع لها المؤلف شَمَوَاة وهي (قَمُوص) في العربية وقد ذكر لغويو الفرنسيين ان كلمتهم من الالمانية القديمة Qamuz (قاموتس) مع انها من العربية اذ ليس في الالمانية ما يوجه وضع اللفظ المذكور ، بخلاف العربية فانها مشتقة من القماش كسحاب وغراب ، وهو الوثب الذي هو من خاصية هذا الحيوان الرشيق ، والكلمة من وضع عرب الاندلس أيضاً

ومن هذا القبيل ما ذكره حضرته عن المسمى Cavia Cobaya, Cochon d'Inde ( اللفظة اللاتينية كوبايا من لغة اميركية غير معلومة . حيوان لبون من القواضم). والذي عندي ان هذا اللفظ من أصل عربي هو القبع ، لانه كثير القبوع وقبوعه تحيره وهو صوته وان لم يكن شديداً كقبوع الخنزير . قال في « لسان العرب » : قبع يقبع قبعاً وقبوعاً : نحر . وقبع الخنزير ويقبع قبعاً وقباعاً كذلك » اهـ

ويجري هذا الجرى ما جاء في Boar : بُوَاء (معرية . ثعبان عظيم من فصيلة الاصليات) والذي عندي أن الكلمة من العربية من « باع يبيع : اذا جرى جرياً ليناً وتثنى وتلوى » ( عن اللسان ) وهذه الصفات من خاصية هذا الثعبان العظيم ، كما هو معروف عنه ، ومدون في جميع التصانيف

وجاء في ترجمة Alcool « كحول . غَوُول ( لم يحز بعض اللغويين الكلمة الثانية يسمى سبيرتو بعامة الشاميين — اهـ ) وكذلك في حامية العراقيين والمصريين . والغول خطأ وان قال به كثيرون انه لم يرد في كلامهم . واما كَحُول فصوابها كَحْل كَقْل ، كما يقر بذلك لغويو الغربيين . وقد وردت بهذا المعنى عينيه في قصيدة قديمة في علم الكيمياء في نسخة خطته لأحد الأقدمين ، والمخطوط مخزون في الدير الكرمل في بغداد ، وليس الآن في يدي . والجامع بين الكحل السائل والكحل المذرور هو لطافة الجوهر ، سائلاً كان أم جامداً . وامثال ذلك كثيرة في العربية

وتتمنى ثانياً ان يختم كتابة الاسماء المؤنثة بالهاء لا بالالف ، أزهاراً كانت الالفاظ أو مُدناً أو منسوبات الى رجال مشهورين . وسبب هذا الرسم ان الأقدمين ، من علمائنا من العرب الاقحاح ، لما فتحوا المدن الاندلسية ، أوزاروا ديار الغرب ، ما كانوا يكتبون تلك الاعلام إلا بهاء في الآخر . فهذا الادريسي لما زار مدن ايطالية لم يختم كتابتها إلا بالهاء . وهي كثيرة . والكتاب الخاص بتلك الاصقاع مطبوع ومنقول الى لغة اجنبية .



وقد وردت (رومة) مكتوبة بالهاء اغلب الاحايين ، ومرتين او ثلاثا بألف ، وأظن ان هذا الرسم الأخير من الناشر أو الطابع لا غير ، وإلا فانها كتبت دائماً بالهاء

والعرب الذين فتحوا ربوع الاندلس لم يكتبوا أسماء تلك المدن إلا بالهاء . وقد وضع العلامة حسن حسني عبد الوهاب باشا رسماً ( خريطة ) تمثل تلك الديار ، ولم يرسمها كلها إلا بالهاء ولم يسجل واحدة بألف في الطرف بل رسمها كلها بهاء في الآخر ، لأنه توخى الامانة في ما خطط ورسم

وأما الذين يكتبون أسماء الاناث — من مدن ، ونساء ، وأزهار ، وحشرات — بالألف في الآخر ، فانهم لم يكونوا من العرب ، ولم تكن لغتهم المصريّة ، بل كانوا من أهل سورية أو من الاجانب المتعربين ، ممن يرسم أواخر تلك الاعلام في تلك اللغات بالف في الطرف . اجث في معاجم العرب من لغوية وبلدانية ، ترمي يكتبون سورية بالهاء ، وكذلك أنطاكية وقسطنطينية وانباية واشباهها ، بخلاف ما يفعله اليوم بعضهم

والأمير الاستاذ صاحب المعجم لم يسر في هذه الطريق على وجه واحد — ويا للأسف ! — بل جرى مرة على أسلوب المبرانيين ، ومرة على طريقة العرب وربما جمع بين الاثنين ، فانك تجده يرسم Dalbergia دلبرجية ، ودفنة Daphne وداتورة Datura Stramonium الخ متبعاً في هذا الرسم منهج السلف الفصيح

وكتب غداميا ، وغردونيا ، وغردينيا ، وغريفيليا .. معياً وراء المبرانيين والمستعربين . وخطّ دروينيا أو دروينيّة ، هكذا بالوجهين للفرنسية Darwinia وقال : « منسوبة الى دروين العالم المواليدي Naturaliste الانكليزي المشهور . جنس جنبات للزئين من فصيلة الآسيان » . قلنا : فان كانت هذه الجنبة منسوبة الى دروين ( وكتابتها بدون ياء قبل النون هي أفضل من كتابتها بالياء ، كما كان يفعل المرحوم الدكتور يعقوب صروف ، هي أقرب الى لفظها الانكليزي ) . فمن العبث أن تكتب بالألف ، كما ان من العبث أن تكتب سورية ، وانطاكية وقسطنطينية الخ بألف في الآخر . وورود ألفاظ مكتوبة بوجهين قليلة جداً

ونتمنى ثالثاً أن يهجر بتاتا طريقة من يحيز كتابة الصفة المجموعة بصورة مفردة ، وأريد أن أشير الى من يحيز قول من يذهب الى استعمال : نساء سمراء ورجال سمراء .. فهذا لم ينطق به عربي . فقد قال المؤلف مثلاً في Chouette بومة صمعاء ( أنواع من البوم لا تنازع لها ولذا نعتت بأنها صمعاء ) . والصواب الذي لا ريب به ، ولا شك ولا توقف :




بأنها « صُمع » . ومثل هذا الاستعمال قليل جداً ، لأن طبيعة الأمير عربية محضة ، وسليقته تنبذ هذه الهنديات من غير أن يتوخى دفعها بطريقة نحوية أو صرفية

وأن يهجر أيضاً اللغة الجارية ، كما هو دأبه ، ومع ذلك زاه يقول في مادة Dravière خليط الكلام ( خليط من القطاني والنجيليات تزرع بزورها سوية . . . ) وسوية لم ترد بمعنى « معاً » الا في كلام العوام من الديار العربية اللسان . ومثل هذه الهفوات قليلة جداً بل أقول بكل فخر للاستاذ المؤلف انها نادرة لا يلتفت اليها ، ولا يؤبه لها

ونتمنى رابعاً ان يتدبر الكلام حين يصوغ العبارة العربية ولا يلتفت الى أرباب الصحف والكتب السقيمة الانشاء . فقد جاء مثلاً في مادة حامض ( ص ٢١ Acide ) ما هذه اعادة عبارته بنصها : « حامض جسم مركب يحمر صباغ الطرنشول الازرق . والحوامض ثلاثة أشكال وهي اولاً ... ثانياً ... ثالثاً ... » وصحيح التعبير ان يقال : ثلاثة أشكال وهي : الاولى ... والثانية ... والثالثة ...

ونتمنى خامساً ان يعدل عن التعبير الكيميائي القديم الى تعبير عربي يرضي العامة والخاصة ، والعلماء الاجانب وأثبتات اللغة . فقد جاء مثلاً قوله في Sulfurex « حامض سلفورو حامض كبريتو » اه . ومن المعلوم في لغتنا العدنانية انها لا تقبل الفاظاً تنتهي بواو ساكنة ولهذا قال علماء الجامعة الاميركية منذ نحو سبعين سنة : حامض كبريتوس وهذا أصح . لكنني اتفقت مع المرحوم الشيخ احمد السكندري أن يقال في حامض الكبريتيك : الحامض الكبريتي . وفي الحامض الكبريتوس : الحويض ( بالتصغير ) الكبريتي ، لأن المطلوب من هذا الوضع قلة الحامض لا غير

\*\*\*

عجبنا من سعة اطلاع المؤلف  نحكم من مطالعة هذا المعجم النفيس على سعة اطلاع الأمير في الموضوع الذي جالجه فإنه اطلع ما كتبه الدكتور داود الجليلي وما كتبه مرشد خاطر الدكتور العالم العامل . راجع ما وضعه المؤلف في : استمصال ، وما كتبه الفريق الدكتور أمين المعلوف ، رحمه الله ، وما كتبه أنا . راجع ما جاء في : مصري ( لا مصري بالكسر لا بالفتح ) وما وضعه المؤلف بنفسه ، راجع ما جاء في : سلفرة . ولعل هناك غير من نوهنا باسمه ، أو قد غاب عنا حين كتابتنا هذه العجالة

وفي الختام اننا نشكر العلامة الجليل على ما أتحف العربية ، بهذه الهدية الثمينة . ولا جرم ان كل عالم واسع المعرفة ، وكل مصري لا يخامره الحسد ، يشكره معنا لأنه أهل



لكل تقدير ، إذ صرف في وضع هذا التصنيف أحسن أيام حياته ، وأثنى مساعاته ، كافأه الله أحسن مكافأة على عمله هذا العظيم

الدب أنستاس ماري الكرمل

من أعضاء مجمع فؤاد الاول للغة العربية

✽ خمس الجفون ✽ بقلم ميخائيل نعيمة

١٥ × ١٩ ١٣٥ ص ، مكتبة صادر ، بيروت ١٩٤٣

اسم ديوان شعر أصدره الاستاذ ميخائيل نعيمة ثالث الثلاثة الكبار ، أو الأشهرين ، من أدباء لبنان في المهجر ، والآخران هما المرحومان أمين الريحاني ، وجبران خليل جبران . والثلاثة طبقة واحدة وإن كانوا يتفاوتون ويختلفون في المنازع وأساليب تناول الأداء ، وبعضهم أمبق الى الميدان من بعض ، وأشهر — في مصر على الأقل

نشأ الامتاذ نعيمة في لبنان ، ودرس في روسية وأقام في فرنسا وهاجر الى أمريكا ثم ارتد الى وطنه الذي أنجبه ، فهو ثمرة ناضجة لأربع ثقافات مختلفة — العربية والروسية واللاتينية والسكسونية بالمعنى الأعم الأشمل . ولعل تنوع هذه الثقافات هو الذي حماه أن تضيق شخصيته فيما توفر عليه وأن يفقد ذاته فيما دخل فيه منها ، واستبحر . فان تعددها ، أو تباين وجوها خلق أن يمنع طغيان احداها على محصلها وغلبة روحها عليه . على انه لاشك ، مع ذلك ، في أن الفضل الاكبر في احتفاظه بطابع خاص ، راجع الى قوة نفسه ووثاقها

يقابل هذا ان طول اقامة أدباء لبنان في المهجر ، وتوفرهم على تحصيل لغات أخرى ، واضطرارهم الى اتخاذ لغة المهجر لغة لهم ، جعل معظمهم يتقنون اللغات الأجنبية فوق اتقانهم لغتهم الأصلية ، وسهل ذلك ، وأعان عليه أن درس الآداب الأخرى أيسر وأقرب منالاً من درس الأدب العربي ولا سيما القديم منه . وعذرهم في هذا بين ، فما كان ثم مفر منه ، فهو أمر ثقل فيه الحيلة ، فلا يكون سواه ، وليس معنى هذا ان لغتهم سقيمة ، وانما معناه انه أدركها بعض الضعف ولم يكن عنه معدى ، وانهم اضطروا أن يكونوا أكثر احتفالا بالمعنى منهم بلفظه الذي يؤديه ، فليس يسعنا نحن الشرقيين الذين قعدوا ولم يهاجروا إلا أن نشعر ونحن نقرأ لزملائنا المهاجرين ان لفظهم دون معناهم حلاوة أو قوة أو جمالاً أو روعة



والمزية ، أو معظمها ، والقوة أو الجمال أو الروعة ، في المعنى على الأكثر لا فيما صُب فيه وصيغ من لفظ ، ولا ضير من هذا ولا هو يفض من القيمة الأدبية لآثار اخواننا أدباء المهجر كما نسيمهم لئيمهم ، وإن كان الكبار منهم قد عادوا الى وطنهم . فان العبرة في الأدب بآثره ، والآثر يحصل في نفوس القراء بالمعنى كما يحصل بأسلوب الأداء ، والمعاني هي الأصل على كل حال ، وليست الألفاظ إلا أداة لنقله من ذهن الى ذهن ، ومن نفس الى نفس . وما دام الكاتب أو الشاعر يبلغ حيث يريد من نفس القارئ ، فذاك حسبه

على ان الأستاذ ميخائيل نعيمة من أسلم اخوانه عبارة وأصحهم لفظاً وأقومهم أداء . ولغته خير من لغة زميليه الراحلين ، ولكن الأستاذ ايليا ابو ماضي أبلغ شعراً ، ولا أقول نثراً وللاستاذ نعيمة جانبان يبرزان في نثره وشعره ، وهما متباينان أشد التباين ، أو لعل الأصح أن نقول انهما متميزان جداً لا يختلطان . فهو في نثره — ولا سيما حين ينقد — مفكر شديد النهج مستقيم النظر ، وحبّة ثبت ، وعالم وثيق ، ولكنه في شعره وفيما يكتبه نثراً بوحياً من عاطفته ، تغلب عليه الروحانية . وهذه الروحانية ليست عابسة ، فانها تفيض رحمةً وحناناً ، وإن كانت لا تخلو أحياناً من ابتسامة الرجل الواقعي الساخر

وهذه النزعة الروحانية شائعة في أدب لبنان ، يستوي في ذلك المقيمون والمهاجرون ، وكأنني بهم لطول ما يواقعون الحياة من جانبها العملي ، أو المعاشي ، أو المادي ، أو ماشئت فسمه ، يحدث لهم رد الفعل الطبيعي فتلج بهم الرغبة في أن يخلوا بنفوسهم ويناجوها ويديروا فيها عيونهم عمى أن ينفذوا الى السرائر ويطلعوا على ذلك الجانب المزوي عن العيون وفي هذا الديوان « همس الجفون » طائفة من الشعر نظمها الأستاذ بالعربية ، وأخرى هي ترجمة نثرية لقصائد له بالانجليزية ، ويرى القراء في غير هذا المكان قصيدة اخترناها له على سبيل التمثيل لأسلوبه ونزغته ، وهو أسلوب سلس يجري مجرى البساطة والوضوح ، ويرأ من التكلف والحوشية ، ولا يخلو من قلق هين . والروحانية في هذه القصيدة تبرز بالادراك الصحيح للواقع ، والفطنة الدقيقة للحقائق التي تحجبها الظواهر ، والسخر الذي يؤدي اليه التفطن الى التويه . واشباهها في الديوان كثيرات ، وانما اخترناها لأنها أجمع لهذه المعاني وأنطق بها

والديوان مطبوع على ورق نفيس كدنا نفسي أن مثله يوجد في دنيانا اليوم ، وفيه رسوم رمزية بريشة الناظم ، ورسوم واحد للمرحوم جبران خليل جبران . وقد خلا من الخطأ المطبعي أتم خلو ، وتلك آية أخرى

ابراهيم عبد القادر المازني



# بَابُ الْإِنْسَانِ وَالْعِلْمِ

## الغذاء سر من أسرار التعمير والشباب

و ٦٠٠ و ٧٥٠ و ٢٦١١ يوماً في عمر الجرذ  
تقابل ٣ و ٦ و ٦٠ و ٧٥ و ٢٦١ سنة في  
عمر البشر

وقد اشتهر الاستاذ ماكلي باطالة عمر  
الجرذان باعطائها غذاءً خاصاً من شأنه أن  
يبطئ أفعال الجسم الحيوية ، لقلّة وحدات  
الحرارة فيه ، ولكنه يحتوي على مقادير  
وافية من الفيتامينات والمعادن وغيرها

والجرذان التي تتغذى بهذا الطعام تكون  
أصغر حجماً وأخف وزناً وأطول عمراً من  
لداها التي تتغذى بطعامٍ تكثر فيه وحدات  
الحرارة . وكذلك تمكن ماكلي أن يولد  
جرذاناً تعمّر الى سن يتفاوت بين ٧٥٢  
يوماً و ٢٦١١ وهي تقابل في عمر البشر سنّاً  
يتفاوت بين ٧٥ سنة و ٢٦١ سنة

ثم جاء هاينستغز وأعاوناه فوجدوا أن  
التركيب الكيميائي لأنساج الجرذان التي  
عمّرت باعتمادها على هذا الغذاء ، شبيهة  
بتركيبها في الجرذان الصغار . ففي جرذان  
بلغت من العمر ٢٦١١ يوماً كان تركيب  
الأنساج مقابلاً لتركيبها في جرذان بلغت من  
العمر ٦١٠ أيام . فكان كيمياء النسيج العضلي  
في شيخ أوفى على ٢٦١ سنة تشبه كيمياء  
النسيج العضلي في رجل في الستين

أجرى بيرد هاينستغز أحد أساتذة  
الكيمياء الحيوية بجامعة هارفرد تجارب قصد  
بها الى معرفة الصلة بين الغذاء والشيخوخة ،  
أو بين الغذاء والتعمير

وقد تبين هذا العالم أن نظاماً معيناً  
من الغذاء يطيل معدّل عمر الجرذان التي  
أجرى التجربة فيها ، ويمكنها من الاحتفاظ  
بسمات الشباب وبخواصه في أنساجها حتى  
بعد أن تبلغ الشيخوخة بحسب السنين

وليس ثمة ما يكفل الآن صدق هذه  
الحقيقة على البشر ، ولكن رجال العلم يحرون  
التجارب على الجرذان ، لينفذوا منها الى  
تطبيقها على البشر

وقد اشترك هاينستغز مع طائفة من  
الباحثين في جامعة كورنل ، فبحثوا التركيب  
الكيميائي لأنساج أجسام الجرذان في مراحل  
مختلفة من العمر ، أي في الطفولة والحدّاثه  
والراهقة والكهولة والشيخوخة . وكانت  
المواد التي شملها البحث ، الماء والفصفور  
والپوتاسيوم والكلوريدات ، لمعرفة توزيعها  
في النسيج العضلي في الساقين والقلب . وقد  
اختلف عمر الجرذان من ٣٠ يوماً الى  
٢٦١١ يوماً . وعشرة أيام في عمر الجرذ تقابل  
سنة في عمر البشر . وكذلك نجد ٣٠ و ٦٠



## البنيسيلين في علاج الزهري

السبع الاولى على الحقن به تخفني لولبيات  
الزهري من القروح  
وفي اليوم الخامس عشر يكون فحص  
الدم سالبا وبعد انقضاء مائة يوم على وقف  
العلاج يتعذر العثور على أي أثر للداء في  
دم المصاب ولو استعملت أدق الكواشف  
المعروفة

والعلاج بالبنيسيلين مأمون العاقبة . ولم  
يتبين الأطباء حتى الآن أثرًا لتسمم ما نتيجة  
للعلاج بهذه المادة المستخرجة من أحد أصناف  
العفن . وقد روى أحد هؤلاء الأطباء ان  
بعض المرضى أصيب بحمى خفيفة في اليوم  
الأول ، ولكن هذا في رأيه مرجعه الى الفئك  
بطوائف كبيرة من اللولبيات ، لا الى  
البنيسيلين نفسه

تروي المجلات العلمية الاميركية انه  
أعلن في الاجتماع الذي عقدته جمعية الصحة  
العامة الاميركية ان عقار البنيسيلين قد  
يكون أداة فعالة في التغلب على الزهري  
والسيلان كليهما

فقد أعد ثلاثة من أطباء المستشفى البحري  
النابغ لمصلحة الصحة العامة الأميركية تقريراً  
وصفوا فيه علاج الزهري في بواكيره ، في  
أربع حالات ، بالبنيسيلين . وهناك حالات  
أخرى تعالج به الآن . وقد مضى على بعض  
هذه الحالات مدة كافية ، تمكن الأطباء من  
الاستيثاق من ان العلاج كان ناجحاً  
وطريقة العلاج حقن البنيسيلين في  
عضلات المصاب مرة كل أربع ساعات ليل  
نهار مدة تسعة أيام . فبعد انقضاء الساعات

## الفيتامين في فول الصويا

وهذه المعرفة لازمة في الغذاء لأن حبوب  
الفول تؤكل ناضجة وغضرة على السواء  
ثم قابل الاستاذ بركهولدر تركيز  
الفيتامين في فول الصويا ، بتركيزه في لحم  
العجل الاحمر ، ولحم الخنزير الاحمر ، وفي  
حبوب القمح . فوجد ان كفة الفول في جميع  
الفيتامينات — ما عدا النيامين — ترجح  
كفة القمح ، وانها تعادل كفة اللحامين  
وقد نشرت تفصيلات هذا البحث في  
مجلة « سيفس » من عهد قريب

أثبت الدكتور بول بركهولدر الاستاذ  
بجامعة ياييل ، ان في فول الصويا فيتامينات  
متعددة . فقد حاول الاستاذ بركهولدر أن  
يقرر بالتحليل الدقيق نسبة مبيعة فيتامينات في  
سته من أصناف هذا الفول ، فلم يجد فروقا  
كبيرة بينها ، ولكنه تبين ان تركيز  
الفيتامين يتفاوت بتفاوت نضج حبة الفول .  
فالنيامين أوفر في حبة الفول الناضجة منه في  
حبة الفول الغضرة . على حين أن الريموفلافين  
أوفر في الحبوب الغضرة منه في الناضجة .



## فيتامين C يفعل فعل الانسولين

أضاف علماء الهند اضافة جديدة الى علوم الكيمياء الحيوية والطب . فقد كشف الأستاذ بازجي أحد علماء مدرسة الطب الاستوائي بكلكتة ان فيتامين C يفعل فعل الانسولين في حالة البول السكري . وقد أجرى تجاربه في خنازير الهند فأخذ طائفتين منها وغذّى إحداها بطعام ينقصه فيتامين C وغذّى الأخرى بالطعام عينه ولكن بعد اضافة مقدار وافٍ من هذا الفيتامين اليه . فأسفرت التجربة ان الطائفة الثانية ظلت سوية سليمة من كل ناحية ، وأما الطائفة الأولى فأصببت بأعراض « البول السكري » . فلما أعطيت جرعاً من فيتامين C زالت هذه الاعراض

## بركان في البحار الجنوبية

رابول - التي لهجت بذكرها الاخبار - هي عاصمة « بريطانيا الجديدة » ، وهي جزيرة صغيرة قرب غنيمة الجديدة . ورابول مرفأ جيد كان فيما مضى فوهة بركان طفى عليه البحر فملاهُ اليوم بمياهه . وتطل على رابول ثلاثة جبال شاهقة بركانية . والواقع ان هذه الجمة بأسرها عرضة للتقلبات العنيفة البركانية . وقد ظهرت منذ أمد غير بعيد على ساحل « بريطانيا الجديدة » جزيرتان صغيرتان هما « ماتوبي » و « فولكان » . وفي سنة ١٩٣٧ فتكت الزلازل بغثة بجزيرة فولكان فأودت بحياة المئات من الاهالي ، وأمطرت رابول وابلاً من المقذوفات والحجم البركانية ، ولما هدأت ثورة البركان وعاد الاهالي الى ديارهم وجدوا « فولكان » أصبحت جبلاً داخلاً في البحر يصله بالشاطئ شقة من الارض، فصارت غير جزيرة

## هل تعلم

\* ان نساء الولايات المتحدة قدمن ٤٩ مليون زوج من جوارب الحرير والنيلون ، تبلغ زنتها ٢٥٠٠٠٠٠ رطل تستعمل في الجهد الحربي ؟

\* أن لورق السجاير استعمالاً جديداً ؟ فهو يوضع على الجروح بعد رش مسحوق السلفانيلاميد عليها ، وانه يفوق الشاش المعقم من هذه الناحية ؟

\* ان الصناعة الاميركية تصنع الآن لقوات المسلحة ورقاً خاصاً للخارطات الحربية لا يبتل ولو غمس بالماء العذب أو الملح ؟

\* ان مجلة خلاصة العلم الاميركية روت ان ميلاً مكعباً من ماء البحر يحتوي على تسعة بلايين رطل من عنصر المغنسيوم ؟



## فهرس الجزء الثاني من المجلد الرابع بعد المائة

العلم والغذاء والمستقبل — الصحة العامة لا تتجزأ : لفؤاد صروف	١٠٥
تحية لبنان المجاهد : خليل ثابت بك	١١١
الصناعات المصرية : للدكتور حافظ عفيفي باشا	١١٤
صرفت حببي عني ( قصيدة ) : لميخائيل نعيمة	١٢٧
غزو روسيا : لادوار مرقص	١٢٩
دار الحديث النورية : للدكتور أسعد طلس	١٣٢
القوة المحركة من البحر — مصادرها ووسائل استعمالها	١٣٩
اللغة البولندية وتاريخها : لحسين المهدي غنام	١٤٢
الدين والفلسفة — الخصومة بينهما في المشرق : لمحمد يوسف موسى	١٤٧
أحلام جول ثرن تتحقق : نقلها كامل محمود حبيب	١٥٠
فلاسفة الرواق — كليانقس — : للدكتور عثمان أمين	١٥٤
أسئلة وأجوبتها عن سر الكهرباء	١٥٨
حرف الجيم : لعبد الله أمين	١٦١
عدد الحرب عند العرب : لمحمد عبد الغني حسن	١٦٦
عمر الخيام كما أعرفه : لمحمود المنجوري	١٧١
علاقة رعاية الطفل بحالة الأم من الناحية الاجتماعية : للدكتور حسن كمال	١٧٦
فلسفة « كان » في الهند وفي الغرب : للسيد أبي النصر أحمد الحسيني الهندي	١٨٢

### باب التعريف والتنقيب ( تقد كتب )

« ثلاثة رجال وامرأة » لبراهيم عبد القادر المازني ، تقد بقلم محمود تيمور	١٨٧
« الصديقة بنت الصديق » لعباس محمود العقاد ، تقد بقلم بشر فارس	الى
« قنابل — مسلة مصرية في ثلاثة فصول » لمحمود تيمور ، تقد بقلم حسن كامل الصيرفي	٢٠٤
« معجم الالفاظ الزراعية » لمصطفى الشهابي ، تقد بقلم الأب أنستاس ماري الكرملي	
« همس الجفون » لميخائيل نعيمة ، تقد بقلم ابراهيم عبد القادر المازني	
باب الاخبار العلمية * الغذاء سر من أسرار التعمير والشباب . البنيسيلين في علاج الزهري . الفيتامين في فول الصويا . فيتامين C يفعل فعل الانسولين . بركان في البحار الجنوبية . هل تعلم	٢٠٥